www.liilas.com
Aml

٦٣

مجلة
روايات أحلام

الحلم يموت مرتين

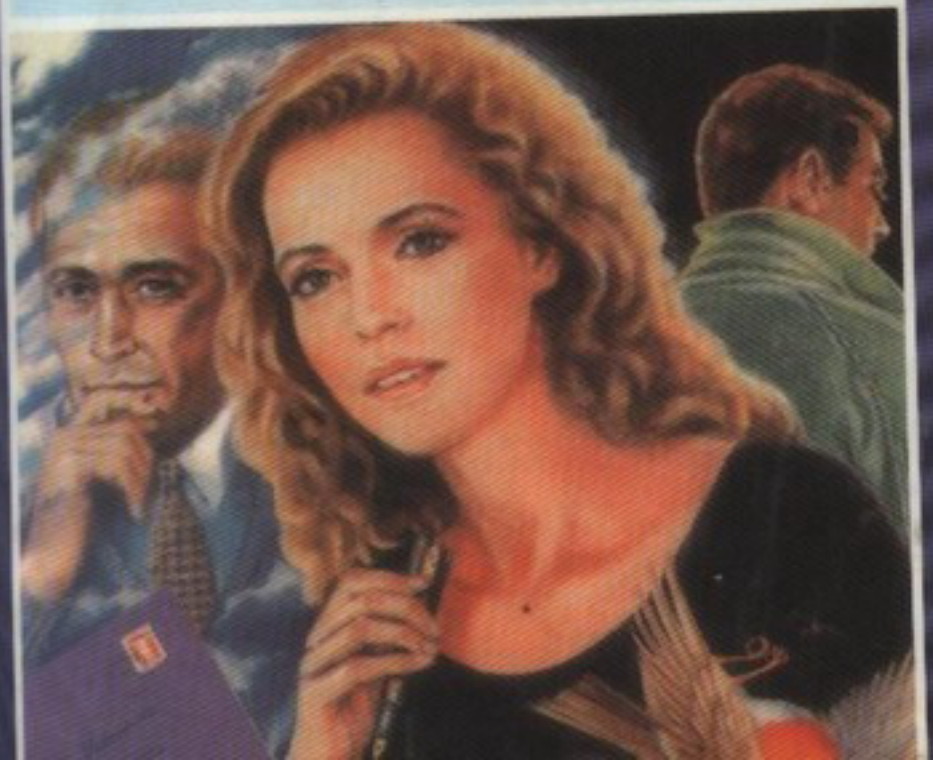

مجلة روايات أحلام

الحلم يموت مرتين

ما هو شعور الإنسان عندما يفتح بابه فيجد الماضي واقفاً أمامه بكل أحزانه وشجونه؟ جوانا حاولت الهرب لكن إلى أين وغراي روسمور خطيبها السابق قد اجتاح عالمها الهادىء وعاد يسيطر على كيانها بكل وجوده؟

قبل سنتين نجحت في الهرب منه، ولكنه عائد الآن وفي يده أكثر من سلاح، فقد استولى على شركة أبيها وأصبح مصير أخيها بين يديه ولم يبق إلا هي خارج قبضته فهل تستطيع البقاء مكتوفة اليدين خارج أرض المعركة؟

لبنان ٢٠٠٠ ل.ل.	الإمارات ٦د.	مصر ٤ ج.	ليبيا
سوريا ٥٠ ل.س.	قطر ٦٠٠ر.	المغرب ١٥د.	اليمن
الأردن ١ د.	البحرين ٦٠٠ف.	تونس ١,٥د.	السودان
الكويت ٥٠٠ف.	السعودية ٧ر.	عمان ٦٠٠ب.	العراق

١ ـ أهلاً بك

أدركت جوانا أن شخصاً ما كان يتعقّب خطواتها حين اجتازت الشارع. لقد سمعت تلك الخطوات منذ فترة لكنها لم تعر الموضوع أهمية كبرى. أما الآن، فها قد قاربت الساعة على الواحدة والنصف فجراً حيث يسير قلة من الناس حولها وبضع سيارات تضيء لها الطريق بين الفينة والأخرى. فجأة تأكدت أن أحداً ما يقصد اللحاق بها، لهذا حثت خطواتها بشكل ملحوظ.

لقد عرضت عليها كارين أن تقلّها إلى شقتها ولكنها رفضت قائلة:

ـ لا شكراً. أرغب في التنزه قليلاً، فالمساء جميل وساكن.

تجهّم وجه كارين وقالت:

ـ ألا تخافين السير في شوارع نيويورك ليلاً؟ أفضّل أن أقلّك إلى المنزل يا جوانا.

ـ تقلينني وأنت سكرانة؟ أفضل المشي في منتصف الليل على مرافقة سكيرة تقود سيارتها بتهور.

ضحكت كارين قائلة:

ـ آه، جوانا، كم سأشتاق إليك. يجب أن تمري بي كلما سنحت لك فرصة المجيء.

ـ سيكون ذلك.

عانقت جوانا صديقتها وأحست بأنها ستشتاق إليها كثيراً. فعندما ترحل كارين من نيويورك ستصبح هذه المدينة عادية بالنسبة لها فقد

اعتادت على أن تراها من خلال عيني صديقتها. أما الليلة فالوضع مختلف، المدينة تبدو عدائية ومرعبة فما زالت تسمع خطوات الرجل الذي يلحق بها.

أحست للمرة الأولى منذ قدومها إلى أمريكا بأنها تكره ذلك الصمت الذي يلفُّ المكان. لقد عشقت هذا الشارع منذ وطئت قدمها المدينة. كان قلة من الناس ظهيرة هذا الأحد من شهر آب يسيرون وكانت المحلات ومعظم البيوت والشقق فارغة. من عادة أهل هذه المدينة أن يغادروا المنطقة في بداية شهر آب طلباً للراحة والاستجمام. لقد استأجرت شقة مرتفعة الأجرة وهذا الإيجار في الواقع يفوق قدرتها ولكنها لم تندم يوماً على ذلك خاصة بعدما تأقلمت مع الجو وأصبح لديها العديد من الأصدقاء.

حين سمعت خطوات ذلك الرجل الذي ما زال يتقفّى أثرها حثّت خطواتها أكثر فأكثر ثم تطلعت حولها علّها تجد بعض البيوت المأهولة، لكن عبثاً تفعل، فليس في الجوار من تستغيث به.

ما عساها تفعل إن أمسك بها الرجل؟ أتصرخ؟ ولكن هل سيسمعها أحد؟

سارت في الشارع الثاني لكن الرجل ظلّ يتعقبها حتى وصلت إلى مدخل البناية التي كانت تسكن فيها وعندها اختفى. نظرت إلى ما حولها فلم تجد أحداً إلا ظلال بعض الأشجار التي تبعثها على الأرض الأنوار الخافتة.

حثّت جوانا خطواتها نحو المدخل فالتفتت إليها السيدة هانسل، المسؤولة عن شؤون المبنى. لوّحت لها دونا بيدها وقالت:

- طاب مساؤك سيدتي. هذه أنا جوانا!

شعرت بالطمأنينة حين دخلت شقتها فالمسؤولة يقظة دائماً وهي تحرص كل الحرص على معرفة الأشخاص الداخلين إلى المبنى والخارجين منه أيضاً. أما أثناء انشغالها فيتولى زوجها المهمة.

كانت جوانا تقطن في الطابق الرابع على الرغم من عدم توفر مصعد كهربائي. لم تلاحظ سابقاً مشقة الصعود إلى الطابق الرابع ولكنها هذا المساء راحت تتسلق الأدراج بتعب وخوف شديدين وهي تشعر بأن ليس لهذه السلالم نهاية. في الأشهر الأولى على مجيئها فقدت بعض النقود فانزعجت لذلك وها هي اليوم منزعجة أيضاً إذ أنها تعلم بأن الشقق المجاورة خالية من السكان، فالمستأجرون الآخرون قد غادروا منذ أسبوعين ولن يعودوا قبل أوائل أيلول.

أحبت دونا تلك الفترة من العام لأن السكان أثناءها يفضلون ارتياد المعارض وأماكن الترفيه والتسلية.

فتحت باب شقتها وأشعلت الأنوار في الممر ثم أنصتت. بدت الشقة خالية وهادئة ولكنها ما زالت تشعر بالقلق والارتباك. راحت تتفقد كل غرفة في الشقة وتشعل الأنوار فيها. لم تلحظ أي تغيير، وهذا يعني أن أحداً لم يدخل أثناء غيابها. اطمأن قلبها قليلاً ودخلت المطبخ لتعدّ لنفسها كوباً من الكاكاو الساخن قبل الخلود إلى النوم.

رنّ جرس الهاتف فأسرعت إليه وهي تتساءل عمّن يكون المتصل في تلك الساعة المتأخرة من الليل. أمسكت سماعة الهاتف فسمعت صوت رجل يقول:

- جوانا؟

كان صوت رجل ذا لهجة إنكليزية. اضطربت لسماعه ثم قالت: «نعم».

- هذا أنا دان.

تغيرت ملامح وجهها وتلاشت علامات الخوف لتحل محلّها معالم الدهشة والاستغراب.

- دان! أين أنت؟ أتعلم كم الساعة الآن؟ إنها الثانية عشرة ليلاً! هل حدث مكروه؟

- أنت وحدك؟

- طبعاً وحدي أنا. . .

قاطعها دان يسألها:

- هل اتصل بك أحد من مانشستر؟ هل زارك أحد اليوم؟

- دان ما بك؟ عمَّ تتكلم؟ ماذا حصل؟ لماذا تتوقع أن يتصل بي أحدهم من بريطانيا؟

- لا تهتمي الآن، فقط اطلبي من المسؤولة عن المبنى أن تسمح لي بالدخول.

دهشت حين سمعت ما قاله وسألت:

- المسؤولة؟ أتعني أنك في نيويورك؟ أنت هنا الآن؟

- صحيح جوانا أتصل بك الآن من هاتف عمومي في رأس الشارع. أردت التأكد من أن الطريق إلى بيتك آمن. سأشرح لك كل شيء حينما أصل، خمس دقائق فقط.

بدت علامات الدهشة على وجهها. اتصلت بالمسؤولة وطلبت منها أن تأذن لأخيها دان بالدخول. لم تكن المسؤولة تسمح بدخول أي شخص غريب إلى المبنى ليلاً دون إعلام مسبق حتى ولو كان هناك من يرافقه زوجته مثلاً، أو أولاد وحتى ولو كان أحد الأشخاص المحترمين كرئيس جوانا في العمل فهذا مسكن محترم ويجب المحافظة على سمعته.

- أخوك آنستي؟

شعرت جوانا بأن المسؤولة تسأل بشيء من السخرية والشك فقالت:

- نعم، سيدتي. إنه أخي التوأم.

عندئذ تذكرت السيدة هانسل أن لجوانا أخاً توأماً وقد سبق أن زارها ولم يكن هناك من داعٍ للشك فهو يشبهها كثيراً رغم أنه رجل وهي امرأة.

أذنت المسؤولة لدان بالدخول وأرشدته إلى شقة أخته. في تلك

الأثناء، كانت جوانا قد شربت فنجان الكاكاو وجلست تترقب قدومه بفارغ الصبر متسائلة عما دفعه إلى المجيء فجأة في منتصف الليل؟ نعم لا تنكر أنها أمضت المساء مع زميلتها كارين وهما تتناولان العشاء، إنما كان باستطاعته الاتصال بها ليعلمها بقدومه مسبقاً.

كان دان يعلم بأن أخته غالباً ما تخرج في المساء لمشاهدة فيلم أو مسرحية أو لتناول العشاء. فهي صديقة عدد كبير من الشبان والشابات في نيويورك وهؤلاء سيذهبون لحضور حفل زفاف كارين في لوس أنجلوس الاسبوع القادم وعليه فقد قرروا قضاء عطلة نهاية الاسبوع في فندق هناك.

لم تكن جوانا متحمسة لتلك الحفلة ذلك أن عائلة كارين قد دبّرت هذا الزواج، غير أنها كانت تعلم أيضاً أن كارين مغرمة بذلك الشاب منذ وقت طويل ومع ذلك ظلّت ترفض فكرة أن تتزوج صديقتها من رجل تحبه العائلة وتفرضه عليها وقد حاولت مرات عديدة أن تقنع صديقتها بعدم القبول قائلة:

- لا تسمحي لأهلك بأن يقرروا مصيرك! لا تدعيهم يرغمونك على الزواج من رجل لا تحبينه، فمصير هذا النوع من الزواج الفشل دائماً. لقد حدث ذلك معي مرة. . حاول أهلي التدخل في حياتي الخاصة وكنت على وشك القبول، لكنني ثبت إلى رشدي قبل فوات الأوان. يجب أن ترفضي وتقاومي كل الضغوطات. إنها حياتك وهي ليست ملكاً لهم!!

بعد سماعها الموعظة التي ألقتها عليها جوانا راحت كارين تضحك وتقول:

- أتظنينني مجنونة؟ مسرورة أنا لأن عائلتي أعجبت بهذا الشاب وشجعت زواجنا. فأنا ومايك متحابان منذ زمن، ولا يستطيع واحدنا التخلي عن الآخر. لولا موافقة عائلتي عليه لتزوجته رغماً عنهم.

لم تقتنع جوانا بكلام صديقتها حتى التقت مايك وتعرّفت إليه

الكلم يموت موتة

ورأت تلك البسمة التي ارتسمت على وجهه حين رأى كارين أمامه. لقد كانا متفاهمين ومتحابين إلى حدّ جعلها تشعر بالغيرة والحسد فهي لم تجد من يحبها بذلك القدر.

دخلت إلى المطبخ وراحت تغسل الفنجان منتظرة وصوله بفارغ الصبر. تُرى! ما الذي حمله إلى نيويورك؟ وماذا يحمل إليها من أخبار؟

قُرع جرس الباب وقامت لتفتح بسرعة: «دان يا لمجيئك المفاجيء!»

تبسّم قليلاً وهو يتكيء إلى العتبة ثم قال:

- آسف جداً. هل أنت تعبة مثلي؟

بدا مرهقاً، تعباً ونحيل الجسم في سترة فضفاضة وربطة عنق غير مرتبة وأزرار قميص مفتوحة. كان يحمل حقيبة ثيابه الصغيرة وبدا وكأنه كان يركض أميالاً طويلة.. لكن ممن؟

- حسناً، دان ادخل. تعرف أني أرحّب بك ليل نهار.

أمسكت حقيبته الصغيرة وهي تفكر: هل تشاجر مع والده؟ هل طرده من المنزل؟ أم ماذا؟

تبعها إلى غرفة الجلوس وألقى بنفسه على الكنبة ثم أغمض عينيه متنهداً بعمق قائلاً:

- يا إلهي! أشعر أني أموت.

- تبدو بحالة مزرية.

راحت تُمعن النظر في وجهه وجسده المنهك ثم تابعت تقول:

- هل حصل شيء؟

كانت تفهم معالم وجهه نِعم الفهم وهذا شيء غريزي وطبيعي لأنهما توأم. شعرت بالخوف يملأ قلبه وهو يقول:

- أنا أحمق! حقاً أنا أحمق.

ابتسمت لتخفف عنه قليلاً وقالت:

- وما الجديد في ذلك؟

- يا إلهي! ما أشد تعبي! لقد تُهت عن منزلك فسرتُ مسافة كبيرة على الطرقات.

- بحق الله، كيف تفعل ذلك؟ ألم تستقل الباص؟

- لقد تهت بعدما نزلت من الباص. توقفت واتصلت بك، ولكن المسؤولة عن المبنى لم تسمح لي بالدخول فخرجت أتمشى وأتناول السندويش ريثما تعودين.

تجهّم وجهها وقالت:

- أكنت تنتظرني في الشارع؟ أحسست بشخص يتعقبني وحين التفتُّ إليه وجدته قد اختفى.

ركّز دان قعدته ثم قال:

- أكان هناك من يلاحقك؟

- لم يكن أنت؟ لا، لا. أظن أنه لو كنت الفاعل لاستطعت اللحاق بي. لكن، قل لي ممَّ أنت خائف؟

- جوانا أنا في مأزق كبير. لقد اكتشف أمري ولا شك في أنه سفضح الموضوع مفجراً جهنم أمامي. كان علي الفرار قبل أن يمسك بي.

- اكتشف أمرك؟ من هو؟ عمَّ تتكلم؟ أبي؟

هزَّ رأسه قائلاً:

- إنه غراي، لكنه سيخبر والدي حتماً بالأمر.

شحب وجه جوانا حين سمعت ذلك الاسم، فقد انتابها شعور بأن لذلك الرجل يداً في الموضوع. نظرت إلى وجه أخيها وكأنها تفتش عن شيء ما ثم قالت:

- ما الذي فعلته دان؟

لكنها لم تنتظر منه جواباً لأنها سرعان ما فهمت الموضوع، فتلك هي عادة دان ولطالما تصرّف على هذا النحو.

أدرك أنها أيقنت ما حصل، فعضَّ على شفته قائلاً:

ـ كنت يائساً وبحاجة ماسة إلى المال الذي نفذ مني وساء حظي كلياً، لكني كنت متأكداً من أنه سيتغير وكان كل ما يلزمني هو فرصة أخرى لأستعيد ما خسرته.

ـ آه دان. إذاً عُدْتَ إلى المقامرة بعد جميع وعودك التي قطعتها لي...

قاطعها وهو يكاد ينفجر:

ـ ليس لديك أدنى فكرة عن الحياة التي أعيشها. أنتِ هنا بأحسن حال. أما أنا، فعالق هناك حيث كل يوم يمرُّ كغيره: المكتب، والضجر وراء تلك الطاولة وأناس مزعجون يلحّون عليَّ بتطلباتهم. وفوق كل هذا، هناك والدي الذي يرمقني بنظرات ساخرة وحاقدة وكأنه يتمنى عدم وجودي في هذا الكون.

دنت من أخيها وركعت قرب الكنبة وقالت:

ـ دان، حبيبي، لا تبكِ.

ما كانت لتطيق رؤيته باكياً، فهو الآن رجل ولم يعد طفلاً صغيراً. لكنه ما زال ضعيفاً ويحتاج للمساعدة وقد لجأ إليها لأنه لا يعرف ماذا يصنع.

ـ ساعديني يا جوانا، أرجوك.

ـ طبعاً سأساعدك.

كانت تشعر دائماً بأنها أكبر منه سناً مع أنهما ولدا في التاريخ ذاته. حين كانا طفلين اعتاد على الاتكال عليها وكان يحتاج دائماً إلى مساعدتها وحمايتها، فهو المدلل الصغير الذي وُلِدَ بعدها بنصف ساعة، وقد كانت ولادته خطرة، إذ وضع في غرفة زجاجية وتمّت مراقبته بدقة في الاسبوع الأول.

ـ كيف عرف غراي بأنك تلعب القمار؟

ـ لقد أخذت بعض المال من حساب الشركة الخاص.

تجهّم وجهها وقالت:

ـ دان! من محاسب والدي الخاص؟ لكنك قلت إن غراي هو من اكتشف أمرك...

ـ صحيح، أنت لا تعرفين أن غراي قد أصبح المحاسب العام والمدير المسؤول عن الشركة. أوكل والدي إليه إدارة الشركة منذ الربيع الماضي حين شعر بوعكة صحية حادة.

ـ ماذا به؟

لقد توالت عليها الصدمات هذه الليلة، ونبأ مرض والدها قد زاد منها فهي لم تكن تعلم بمرضه إطلاقاً. هدّأ دان من روعها حين قال:

ـ جوانا أرجوك لا تقلقي كثيراً، فليس الأمر بهذه الخطورة. ليس عليه إلا المحافظة على صحته وعدم إرهاق نفسه بالعمل. لقد نصحه الطبيب بالتقاعد لكن والدي رفض الفكرة، ولهذا وضع مسؤولية الشركة على عاتق غراي وعيّنه المدير المسؤول ومن ثمَّ الرئيس. وها هو الآن يحضر الاجتماعات كلها ويُبقي عينيه مفتوحتين بالمرصاد.

ـ إذاً، غراي روسمور يدير الشركة الآن.

انزعجت كثيراً مما سمعته، فها هو غراي يحصل على الشركة دون الحاجة إلى الزواج بها ليحقق هدفه. ألا يعجبه ذلك؟!

ـ تبدين دهشة.

ـ لا، أبداً، لست كذلك.

ـ وأنا أيضاً، فقد خطط لهذا الهدف منذ أن قدم إلى الشركة. إنه محظوظ جداً لأن نوبة والدي الأخيرة كانت فرصة ذهبية بالنسبة له.

ـ لماذا لم تخبرني من قبل؟ لقد زرتني الربيع الفائت!

أربكه كلامها فاختصر جوابه قائلاً:

ـ لم أشأ أن أزعجك.

من الطبيعي ألا تصدق كلامه، فهو كذّاب ماهر. تابعت تسأله:

ـ كم أخذت من المال؟

حاول ألا ينظر في وجهها لئلا ترى ارتباكه الشديد وقال:

ـ كنت أنوي أن أعيده. تفهمين طبعاً. خاصة وأنني كنت متأكداً بأن حظي سوف يتغير ولكن للأسف.

ـ دان، كم؟

ـ لقد أخذت ألفاً.

نظرت إليه وهي شاردة الذهن. هل تملك هي ذلك المبلغ في حسابها الخاص؟ تابعت تقول:

ـ بإمكاني أن أتدبر هذا المبلغ.

لكنه ما لبث أن قال:

ـ ليس هذا كل شيء. تعرفين، أنا...

التقطت أنفاسها وقالت:

ـ أخذت مبلغاً أكبر؟ كم؟

ـ لا تغضبي مني يا أختي. تعلمين أن والدي يقطع عني المصروف متى يشاء، فهو يعاملني كتلميذ المدرسة، فهو يغدق عليَّ الأموال أحياناً ويقطعها أخرى. لو أني أعمل لدى غيره لادّخرت أموالاً كثيرة.. ورغم هذا كله، ستصبح الشركة ملكاً لي يوماً ما.

توقف فجأة حين نظرت إليه فعاد يصحّح ما قاله:

ـ أقصد لنا، فكما تعلمين إن والدنا أوصى لنا بها بالتساوي. يوماً ما ستصبح تلك الأموال الراكنة هناك ملكاً لي أتصرف بها كما يحلو لي. إذاً لماذا لا يعطيني منها الآن ما يقضي حاجتي؟ لو أنه اتّبع هذه الطريقة لما اضطررت إلى فعل تلك الأشياء.

لم تستطع جوانا الرد عليه لثوان عديدة، فقد أذهلها كلامه وطريقته في التفكير. كان يتكلم وكأن لا حقّ لوالده عليه، أو كأنه لا يستطيع الانتظار حتى يموت والده. هزّت رأسها بصوت خافت وقالت:

ـ آه دان. أشعر أحياناً بأن...

توقفت فجأة عن الكلام حين رأته يرتعد خوفاً وقد لاح الخوف على وجهه لأنه يخشى انتقادها ولومها له، فالتأثير الوحيد الذي كانت

تملكه عليه هو أنه يعرف شدة حبها له بالرغم من أخطائه الكثيرة. لذلك قررت أن تكفَّ عن لومه وتوبيخه، ثم تابعت تقول:

ـ كم من المال تحتاج؟

ـ ستة عشرة ألفاً.

أحست بالدنيا تضيق بها وشعرت بالغثيان. لم تكن أبداً تتوقع هذا الرقم فهو بعيد كل البعد عن إمكانياتها خاصة وأن الإرث الذي ورثته عن أمها كهدية في عيدها الثاني والعشرين، قد أُنفق حين جاءت إلى نيويورك على أجرة الشقة وعلى أقساط معهد لإعداد المعلمين الذي التحقت به حتى أصبحت معلمة ماهرة، فقد انخرطت في سلك التعليم في إحدى المدارس، أما دان فقد أنفق حصّته طبعاً في المقامرة.

أخذت نفساً عميقاً ثم قالت:

ـ دان! أنا لا أملك هذا المبلغ!

تجهّم وجهه واحمرَّ لونه وبعد ترددٍ واضحٍ قال:

ـ لو أنك تتكلمين إلى غراي لـ...

ـ لا!

انفجرت رافضة الفكرة. فقد أخذت على نفسها عهداً بألا تنظر في عيني غراي هذا مجدداً حتى ولو كان ذلك السبيل الوحيد لمساعدة أخيها.

ـ جوانا، أرجوك افهميني. إن أخبر غراي والدي بالأمر أنتهِ حتماً لأنه عندها سيحرمني من إرثي، فهذا ما قاله لي مؤخراً.

توقف قليلاً ونظر إليها ثم أبعد عينيه عنها ولكنها رأت وجهه يتضرَّج ثم يشحب قبل أن يردف قائلاً:

ـ جوانا، أعلم أنك تحتقرينني. لقد حاولت عبثاً أن أُرضي والدي وأجعله مسروراً مني لكنني لم أستطع، ولهذا وجدت المقامرة السبيل الوحيد الذي ينسيني العالم من حولي. حين تجلسين إلى الطاولة تنسين العالم بأسره وينحصر تفكيرك في اللعب، المقامرة كالحرب تماماً،

فمع كل دورة دولاب يتقرر مصير الأشخاص.. إما الموت أو الحياة.

حدقت إليه طويلاً وهي مأخوذة بأسلوبه الصريح في التعبير عمّا يجول في داخله من أفكار وهواجس. لقد أساء والدها معاملته بعض الشيء. لقد كان صارماً معه ودائم الانتقادات والاستهزاء لأنه أراده أن يكون مثله ذا شخصية قوية وصاحبَ مواقف فائقة السموّ. لكن دان لم يسلك مسلك والده لأنه لم يكن يحب ذلك الأسلوب في العيش ولهذا دفن نفسه خلف طاولة الروليت تلك.

وقفت جوانا بالقرب من أخيها وراحت تداعب شعره الجميل بحنان ثم قالت:

ـ لِمَ لا تنام الآن؟ في الصباح، نرى كيف نتدبر الأمر. لا تقلق سأساعدك.

اطمأنَّ قلبه قليلاً وتنهد بعمق ثم عانق أخته وهو يقول:

ـ شكراً لك جوانا. ما كان عساي أفعل لولاك أيتها الأخت الحنون!

تساءلت جوانا عمّا إذا كان بمقدور أخيها الاعتماد على نفسه. لكنها لم تشأ أن تختبره وهو في هذه الحالة من القلق والانهيار. لقد توفيت والدتهما حين كانا صغيرين ولهذا كانت له جوانا بمثابة الأم الحنون.

تثاءب وهو يشعر بالنعاس فوقف قائلاً:

ـ معك حق. أنا متعب.. أين حقيبتي؟

التقط الحقيبة الصغيرة ثم أضاف:

ـ هل لي بفنجان من الحليب الساخن؟

ـ طبعاً، اذهب إلى الفراش الآن وسأجلبه لك حالاً.

أحضرت له كوب الحليب وذلك بعدما بدّل ملابسه وألقى بنفسه على الفراش.

نظرت إلى وجهه الشاحب وقالت:

ـ حاول أن تنام. لن أذهب إلى العمل غداً لأنه السبت. أتفضل أن أوقظك أم أتركك نائماً؟

ـ أيقظيني في التاسعة، هذا إن لم أنهض بنفسي باكراً.

توقف قليلاً ثم تابع:

ـ جوانا، كنت أفكر... قلتِ إن أحداً ما كان يتبعك الليلة؟ هل رأيت من هو؟

ـ لا، لكن انتابني شعور بأنه رجل. ليس للأمر علاقة بك يا دان. ربما كان أحد عشاق التريض ليلاً.

ـ أعتقد هذا. أنا سطحي التفكير، هذا كل ما في الأمر. أتعرفين، تحدثت إلى غراي هذا الصباح فأخبرني بأنه أحصى المبلغ الذي أخذته.. لقد نعتني باللص! اللعنة عليه! قال إنه سيخبر والدي يوم الاثنين قبل اجتماع الإدارة وقد أمهلني حتى نهاية الاسبوع لأطلع والدي على الأمر بنفسي. لكنه يعرف أنه لا يمكنني مواجهة والدي. لقد رأيت تلك النظرة في عينيه.. النظرة نفسها التي أراها في عيني والدي. إنه أيضاً يحتقرني. خرجت من الشركة عالماً أن عليَّ الفرار وكنت أشعر بأنه سيتبعني طيلة الوقت ليرى ما سأفعله لأخلص نفسي من هذا المأزق.

نظرت إليه جوانا فرأت في وجهه خوف الطفل الذي ارتكب فعلة حمقاء. طالما أصيب بتوتر عصبي من جرّاء توبيخ والده له. حاولت أن تخفّف عنه ذلك الخوف فقالت:

ـ كفَّ عن التفكير في هذا الموضوع. إن بقيت على هذه الدرجة من القلق لن تجد السبيل إلى النوم الليلة.

ـ التفكير في غراي. آه، كيف يمكنني الإقلاع عن التفكير فيه؟

أمسك كوب الحليب وراح يرشفه ثم قال:

ـ سأكون بخير، جوانا. آسف لأنني أبقيتك ساهرة. أراك غداً صباحاً.

شعرت بأن حاله قد تحسنت قليلاً، فقد أزاح ذلك الحمل الثقيل عن ظهره حين أطلعها على مشكلته.

ابتسمت ابتسامة رقيقة ومطمئنة وهي تدرك أنه لن يكون بوسعها النوم تلك الليلة. كيف تجرأ غراي ونعته باللص؟ ما كان على دان أن يأخذ ذلك المال. لكن دان فرد من العائلة، أما غراي روسمور فمجرّد موظف عندهم. إنه غريب دخل الشركة منذ خمس سنوات وهو ناوٍ منذ البداية الحصول عليها. بأي حق يخاطب أخاها هكذا؟

بدّلت ملابسها واستلقت على سريرها تحاول النوم. بدت الغرفة في الظلام على غير عادتها، كما لو كان وجود دان قد غيّر عالمها.

لقد جاء إلى نيويورك مرات عديدة من قبل، أما والدها فلم يفعل. فلم تره قط منذ أن جاءت إلى نيويورك. بل لم تحاول العودة إلى إنكلترا تجنباً لأي لقاء مع غراي وتجنباً لما قد يفاتحها به والدها عن موضوع غراي هذا.

تقلبت في فراشها متنهدة تنهيدة عميقة. ما عساها تفعل بشأن دان؟ لقد وعدته بالمساعدة، لكن كيف؟ لن تركع طبعاً تحت قدمي غراي روسمور. كانت تفضّل الموت على ذلك لأن ركوعها له سيشبع أنانيته، خاصة حين يراها تتوسل إليه طالبة الرحمة.

قبل سنتين مضتا، كانت قد أخبرته رأيها فيه بكل صراحة، وذلك قبل أن تفسخ خطوبتها منه. لم تحاول أن تنتقي كلماتها أو حتى أن تخفي انزعاجها منه، أما هو فراح يراقبها بعينيه الزرقاوين دونما تبدّل في لون وجهه.

حاولت دوماً التسلّح برأيها وقدراتها على مقاومة أية مشكلة فكيف يمكنها الآن أن تستنجد به؟ إن هي طلبت منه المساعدة عرف أن جوانا قد ضعفت أخيراً. على أية حال، عليها أن لا تفكر كثيراً الليلة، ففي الصباح ستجد حلاً للمشكلة.

تقلبت في فراشها مجدداً وغطّت نفسها بغطاء رقيق لامس جسدها

الناعم والدافىء. لقد كانت ليلة حارة. كيف يمكنها النوم وعقلها منشغل بالموضوع؟

مضى عليها ما يزيد عن النصف ساعة حتى استسلمت للنوم.

استيقظت في الصباح التالي فوجدت الشمس تملأ الغرفة ورائحة القهوة تعبق في الجو. دهشت للوهلة الأولى لكنها سرعان ما أيقنت أن دان ربما استيقظ مبكراً.

قامت من الفراش متثائبة. لقد تجاوزت الساعة التاسعة ومع ذلك تشعر وكأنها لم تنم تلك الليلة. ارتدت روباً خفيفاً من الساتان ثم دخلت المطبخ حيث وجدت أخاها الذي حضر بعض القهوة وعصير البرتقال.

ابتسم حين رآها قائلاً: «صباح الخير، هل نمتِ جيداً؟».

ـ ليس كثيراً. وأنت؟ آه، تبدو أفضل حالاً.

ـ نعم، لقد نمت كالخشبة، والآن أشعر بالجوع.. هل أجد عندك بعض الخبز؟ لم أجد أيّاً منه في البراد.

ـ آه، لقد نفذ حتماً. سأذهب إلى المخبز، وأحضر بعضاً منه.

ـ لا. ابقي أنت. أنا أذهب، لكن أين المخبز؟

ـ حسناً.. إن انعطفت عند تلك الزاوية تره في أول الشارع. أحضر بعض الكرواسون والسندويش وربطة خبز. قل لي، أتحمل مالاً أميركياً؟

هز رأسه ثم قال:

ـ احفظي القهوة ساخنة، دقيقة وأعود.

خرج وأغلق الباب خلفه. عندها دخلت جوانا لتستحم بالمياه الباردة. نظرت إلى وجهها في المرآة فوجدته شاحباً عديم اللون، فقالت لنفسها: «تبدين اليوم مريضة».

في تلك الأثناء، قرع جرس الباب فتنهدت لأنها ظنته دان العائد من المخبز. فقالت وهي تفتح الباب:

ـ عُدْت بسرعة!

لكنها تسمّرت في مكانها ما إن رأت الرجل الواقف في الباب. ودّت لو تغلق الباب في وجهه بعنف لكنه دخل شقتها وهي ما تزال مذهولة.

احتجّت على دخوله قائلة بابتسامة ساخرة: «ماذا تفعل هنا؟»

ـ أين دان؟

دخل غرفة الجلوس وراح يبحث عن دان بتلك العينين الفضوليتين. لحقت به وقالت مستنكرة: «دان!»..

ـ لا تمثلي دور البريئة! فهذا لا يناسبك.

كانت عيناه الزرقاوان تلمعان كالجليد الأزرق، وقف أمامها والغضب يتأجج في صدره لأنه لم يجد دان في الشقة. كم تتشوق لرؤيته حائراً ومنشغل البال!

قال وهو يبدو واثقاً من نفسه:

ـ أعلم أنه هنا. عرفت أنه هرب من البيت البارحة ظهراً وقد أوكلت مخبراً أمريكياً ليتعقبه حتى يدلني على المكان الذي اتّجه إليه.

ـ أكنت تراقب شقتي؟ كيف تجرؤ على فعل ذلك؟

جال نظره في المطبخ ثم قال:

ـ لا تتكلمي بطريقة درامية، آنسة ليستر. ما كنت لأتعقبه أو ألحق به إلى نيويورك ما لم أكن متأكداً أنه جاء إلى هنا. فأنا لا أحب تضييع وقتي الثمين سدىً.

ـ هل لي إذاً أن أفترض بأن مخبرك الأمريكي هذا هو الذي لاحقني ليلة البارحة؟ إنه رجل محظوظ لأني لم أخبر الشرطة!

ـ آه، قهوة لشخصين؟ فهمت.

راح يحدق إلى الطاولة وهو يقول بسخرية:

ـ أما زال دان نائماً؟ أم أن عشيقك في الفراش؟

أجابته بالحدة نفسها وبالسخرية ذاتها:

ـ نعم إنه عشيقي.

أحسّت بالغضب يتّقد في تلك العينين الزرقاوين. لقد كان ذا بشرة سمراء جذابة وشعر أسود حالك كريش الغراب.

أسدل جفنيه وقال: «أنت تكذبين».

ابتسمت وهي تقصد أن تغيظه ثم قالت:

ـ أتود أن تتأكد؟ ربما يعلمك بعض الأخلاق الحسنة.

رأت الحنق في عينيه. نعم لم تسفك دمه لكنها على الأقل جرحته بكلامها المسموم.

شعرت أنه سيدخل غرفة نومها فأسرعت باتجاه الممر ومنه إلى غرفة الجلوس وهناك عند الشرفة وقفت تترقب وصول دان على أحرّ من الجمر. أحست للحظات أنها لم تره ولكن عينيها ما لبثت أن وقعتا عليه وهو، كعادته، يلوح بيديه المحملتين بالأغراض. توقف عند بائع الفاكهة واشترى بطيخة صغيرة. انحنت فوق الدرابزين الحديدي وكادت تلوح له بيدها حين أطبقت يد الرجل على فمها. رشقته بنظرة حادة فإذا وجهه خلف كتفها. سحبها إلى الداخل وهي تقاوم وكانت تحاول عبثاً أن تعضّ يده لأنه تمكّن من تثبيتها بين ذراعيه القويتين ثم قال لها بسخرية لاذعة:

ـ تبدين أذكى من أخيك. لقد جعلتني أحمق ثوان معدودات ولكن ما إن سمعتك تتسللين إلى هنا في الوقت الذي أرسلتني لأصطاد البطة حتى أدركت الفخ.

تمتمت بغضب وتمنت أن تضربه ولما قرع جرس الباب ضحك ساخراً وقال:

ـ لقد تأخرت.. ها قد وصل.

وجدت نفسها قرب الباب بعد أن دفعها جانباً بيديه معاً. فتح غراي الباب بنفسه وهو يقول:

ـ تفضّل يا دان، أهلاً بك!

٢ ـ لمسات من الماضي

تلعثم دان حين رأى غراي وتدحرجت البطيخة من يده فحاولت جوانا الامساك بها مفكرة في طريقة ما لتبعده عن أخيها. رأت أخاها يتسلل نحو المطبخ وغراي يتبعه، كما يتبع الهر الفأر، حتى جلس على كرسي ووقف غراي فوقه وقد خيّم عليه بجسده الطويل. أسرعت جوانا إليهما وما إن دخلت المطبخ حتى سمعته يقول له:

ـ لن تنجو بفعلتك هذه. ستتحمل عواقبها رغماً عنك.

عندما وضعت البطيخة على الطاولة بقوة تطلع غراي إليها فالتقت عيونهما كما السيوف المسلولة، فقالت بحنقٍ شديد:

ـ أريد أن أتحدث إليك في غرفة الجلوس.

ـ لاحقاً.

أزعجها جوابه فعادت تقول وهي تشدد:

ـ الآن!

غير أنه لم يُعِر تذمّرها أيّ اهتمام، بل ردَّ عليها بهدوء:

ـ إني أتحدث إلى أخيك الآن.

ضاقت بها الدنيا من الغيظ والحنق فانفجرت قائلة:

ـ بحق الله.. من تظن نفسك؟ تذكّر جيداً أنك تعمل لدى والدي وأني وأخي لسنا موظفين عندك. لذا لا تكلمني بهذه الطريقة.

ابتسم بسخرية وقال:

ـ آنسة لستر، أنا أعمل لدى والدك، لا لديك أنت.

امتقع وجهها فرفعت رأسها وقالت:

ـ بأي حق تلاحقني وتتقفّى أثري؟ تتبع أخي إلى نيويورك، تدخل شقتي بالقوة وتهددني وتحاول ردعي هكذا؟

رفع دان رأسه مستنكراً:

ـ ماذا فعل جوانا؟

ـ لقد دفعني بقوة وكأنه يقصد قتالي.

حملقت في وجهه حين سمعته يقول:

ـ حاولت أن أمنعك عن إعلامه بوجودي.

نهض دان، غير أن جوانا أقعدته مجدداً.

قال غراي بصوت ناعم هادىء:

ـ دان، لا تتشاجر معي لأنك ستخسر حتماً.

تدخلت جوانا فوراً قائلة:

ـ لِمَ لا تبحث عن شخص يعادلك قوة وحجماً.

ـ أنتِ مثلاً؟

أحسّت ببريق النصر يلمع في عينيه لكنه ما لبث أن اختفى حين راح يقول:

ـ لم آتِ إلى نيويورك لقضاء عطلة الاسبوع ولم ألحق بأخيك للتسلية فحسب، هل فهمتِ آنسة لستر؟ ألم يكن من الأفضل أن أوفر على نفسي مشقة السفر وضياع الوقت؟ كان بإمكاني فعل شيئين اثنين: إطلاع والدك على السرقة الشريفة أو إعلام الشرطة تفادياً لحدوث أية نتائج عند والدك. كنت لأفعل ذلك لو لم يكن اللص ابن والدك، السيد جورج لستر. لكني لم أشأ أن أزعجه بهذه المسألة، فهو يتجنب جميع المشاكل اليومية المتعلقة بأمور الشركة ويترك مسؤولية حلها لي أنا.

توقف قليلاً وهو ينظر إليها ثم تابع:

ـ لقد قررت أن أعالج المشكلة بنفسي دونما إشراك الشرطة غير أن خيك غادر البلد وفرَّ إلى هنا، فاضطررت إلى إلغاء مشاريع عطلتي

واللحاق به.

ـ أنا متأكدة أن والدي سيكون ممتناً لك كثيراً. ومن ناحية أخرى لولا الخوف الذي ألقيته في قلب أخي لما ترك البلد ملتجئاً إليّ. كنت تريده أن يلجأ إلى والدي، أليس كذلك؟ وعندها لن يلومك أحد إن أصيب والدي بنوبة قلبية!!

تجهّم وجهه كثيراً، فهو لم يعتقد إطلاقاً أن تفكيرها قد يتخذ هذا المنحنى:

ـ كل ما أهتم به هو ألا يصاب والدك بنوبة قلبية أخرى.

ضحكت باستهزاء قائلة:

ـ هل تتوقع منا أن نصدق ما تقوله؟ أنت تريد أن تطلعه على أمر المال الذي أخذه دان لأنك تريده أن ينقلب ضده فيحرمه من الإرث، وبهذا تحصل على مبتغاك فور موت والدي.

ـ لو كانت تلك نيتي لفعلت، وما كنت لألحق دان إلى هنا.

ـ آه، مسكين. لقد لحقت به مضيعاً وقتك الثمين سدى وما ذلك إلا لتدبر مواجهة عنيفة بين الوالد والابن الهارب!

ـ طريقتك في التفكير شيطانية آنسة لستر.

فجأة اشتعل غضبها وقالت مؤنبة:

ـ لا تناديني بهذا الاسم!

ـ آسف، لكنني شعرت بأنك لا تحبين أن أناديك جوانا.

لم تعرف كيف ترد عليه فقالت لدان:

ـ تناول فطورك يا دان ريثما أتحدث إلى هذا السيد في غرفة الجلوس.

سكبت لأخيها فنجاناً من القهوة ثم اتجهت إلى غرفة الجلوس دون الالتفات نحو غراي.

بعد تردد بسيط سمعته يسير خلفها متوجهاً إلى الغرفة التي أغلق بابها خلفه. أدار وجهه ليواجهها ثم اقترب منها كما لو كانت فريسة

أمامه، فارتعبت لكنها خبأت شعورها بالخوف وراحت تبحث عن طريقة لتدخل في الموضوع من جديد. بعد قليل قالت:

ـ لو كنت حقاً تكترث لحال والدي الصحية، لما أصررت على إطلاعه على ما فعل دان.

ـ ستة عشر ألفاً مفقودة من الحسابات.. كيف يمكنني إخفاء هذه الحقيقة دون أن أورّط نفسي؟

ـ أمهلني بعض الوقت لأرى كيف أتدبر لك المبلغ.

لم تكن تعرف من أين تأتي بالمال. لكنها عرفت شيئاً واحداً وهو أنه يجب عليها تأمين المبلغ من أي شخص كان.

طوى ذراعيه وراح يتأملها وكأنها نوع جديد من البشر لم يحدث أن رأى مثله من قبل.

اقترب منها قائلاً:

ـ أتملكين هذا المبلغ من المال؟

ـ لا، لكنني سأؤمنه.

ـ تستدينين من شخص ما؟

ـ وهل تهمّك الطريقة التي أحصل بها على المال؟

ـ طبعاً تهمني. يجب أن يُعاد المال إلى الخزينة قبل الثلاثاء.

شحب لونها وأحست بالارتباك، ثم قالت:

ـ ولِمَ الثلاثاء؟ ألا يمكنك أن تمهلني فرصة أطول؟

رفع حاجبيه ثم قال:

ـ أنت لا تفهمين الوضع.. يجب أن نعيده نهار الثلاثاء لأن المراجعات الرسمية تبدأ في ذلك اليوم.

ـ ألا يمكنك أن تشرح لهم بأن...

توقفت عن الكلام فجأة، فانحنى نحوها وقال:

ـ أن ماذا؟

ـ لا أعرف. يجب أن تجد حلاً ما.

ـ تقصدين أن أكذب عليهم؟

احمرَّ وجهها وقالت:

ـ لماذا تفسرها بهذا المعنى؟

ـ وكيف تريدينني أن أفسّرها؟

ـ تستطيع طبعاً تأخيرهم قليلاً ريثما أؤمن المبلغ.

مشى في الغرفة ثم اتخذ لنفسه مقعداً جلس عليه ثم لفَّ قدميه الواحدة فوق الأخرى وراح يفكر. جالت عينا جوانا فيه تتأمل بذلته الرمادية الثمينة وقميصه الحريري وربطة عنقه. فلاحظت أن ذوقه بالثياب ما زال مرهفاً وفخماً كما كان من قبل. وها قد خالفه الحظ الآن وصعد إلى قمة الجبل حيث لا يصعب عليه شراء أي شيء.

عاد للمناقشة من جديد:

ـ فلنفترض أني فعلت ما تقترحين.. أتظنين أن أخاك قد يرد لك ذلك المال؟ سيكون ممتناً بالطبع، إنما لبضعة أيام فقط وسرعان ما ينسى الموضوع كلياً لأنه لا يحب أن يتذكر أشياء تُشعره بأنه إنسان فاشل.

ـ هذا شأني وحدي!

ـ وشأني أنا أيضاً. فبعد أشهر معدودة، يعود أخوك المصون إلى المقامرة من جديد... لقد أصبح مدمناً عليها بحيث لن يتمكن من الاقلاع عنها أبداً. إنها أشبه بمرض متفشٍ في جسده يجب معالجته بسرعة. يرى والدك عكس ذلك، فهو يعتقد أن دان قادر على التوقف حين يشاء.

لم تكن فلسفته ودراسته لنفسية أخيها تعجبها، فهو يفهم نفسيته نعم الفهم وتخشى أن يفهم ما يخالجها هي أيضاً.

توقف عن الكلام للحظات ثم تابع يقول:

ـ عاجلاً أم آجلاً، سيحتاج دان إلى المال ليعاود اللعب مما سيدفعه للسرقة من جديد، ولكنني لن أسمح له هذه المرة بارتكاب تلك

الحماقات على حساب الشركة لأني لن أدعه يقترب من الخزينة بعد الآن. وإن حصل وطلب أو استدان المال من شخص ما، فلن يمكنك سدُّ العجز مرة ثانية.

أغضبها كلامه الحاد وقالت:

ـ تأكد أنه لن يكون هناك مرة ثانية. واسمع جيداً! أنت مجنون إن ظننت نفسك قادراً على طرد أخي من الشركة.. أنسيت أنها ستصبح ملكه يوماً ما؟

ـ لم أقل إني سأطرده من الشركة بل ما أنوي فعله هو ألا أتركه يسحب المال دون أن يعلم أحد.

ضحكت بغضب وقالت:

ـ ومن تخال نفسك؟ إنَّ عائلتي تملك تلك الشركة التي تخصنا نحن، أما أنت فلست سوى عامل فيها. كيف تتجرأ وتتكلم عن أخي وكأنه موظف مبتدىء عندك؟

ـ هذا هو وضعه بالضبط.. ولولا أنه دان لستر لاستدعيت الشرطة الآن. أوَ تظنين ذلك عدلاً؟ أن نعامل الموظفين حسب قانون، وأخاك حسب قانون آخر.

عضَّت على شفتها وقالت:

ـ لم يقصد دان السرقة، فقد أخذ المال على أساس أنه لـ...

ـ لوالده؟ أتحسبين هذا عملاً شريفاً ولائقاً؟

ـ طبعاً، لا.

ابتعدت عنه وهي تحسُّ بعينيه تراقبانها حيثما تحركت وهذا ما زاد حنقها عليه.

ـ يسرّك أن دان غير أهل للعمل. أليس كذلك؟

ـ أتعتقدين أنه يستطيع إدارة الشركة؟

هزَّ كتفيه العريضتين وتابع يقول:

ـ إن استلم أخوك الإدارة.. أعلنت الشركة دون شك إفلاسها،

وصرفت موظفيها في غضون سنتين. ألا تعلمين أن المحاسبين يدققون بالحسابات الداخلة والخارجة؟ أيرضيك أن تفلس الشركة ويُرمى الموظفون إلى الشارع ليبحثوا عن وظائف جديدة؟

ـ ما أذكاك! أحسدك على هذه العبقرية والدهاء، وعلى هذا الحظ. فلم يكلفك أخي عناء التخلص مني بل خلصك من وجوده وإزعاجه بنفسه.

راح غراي يتمشى في الغرفة أما جوانا فوقفت أمام حافة النافذة. بدا الانزعاج على وجهه الوسيم لكنه تمالك نفسه بعدما نفذ صبره ثم قال:

ـ ربما أمكننا التوقف عن تبادل الإهانات اللاذعة إنْ أنتِ أفرغت تلك السموم المحشوة داخل ذهنك، ولنفكر ماذا سنفعل بمسألة دان الآن؟

ـ نفعل؟!

اقترب منها غراي كثيراً لكنها ابتعدت عنه رافعة رأسها بتكبّر وشموخ.

راح يراقبها عن كثب، ثم قال:

ـ جوانا، لا تستمري في محاربتي!

ارتعش فمها وقالت:

ـ أتريدني أن أستسلم لك ببساطة؟

اقترب منها أكثر ووضع ذراعيه حول حافتي النافذة بحيث يصعب عليها الهرب منه. نظر إليها ثم قال:

ـ يا لجمال هذا المنظر!

انزعجت من تصرفه وقالت:

ـ ماذا تظن نفسك فاعلاً؟

تأملها للحظات بعينيه الزرقاوين الدكناوين ثم قال بصوت هادىء عذب:

ـ ما الذي حصل بيننا يا جوانا؟ لِمَ سارت الأمور بغير مجراها؟ لقد انقلبت ضدي فجأة دون أن أعرف السبب! ما الخطأ الذي اقترفته؟

تسارعت دقات قلبها واحمرَّ وجهها ولم تعد تعرف أين تخبىء نظراتها الساحرة. لماذا لا يزال قادراً على السيطرة على أحاسيسها؟ لقد ظنّت أنها شفيت من حبه تماماً، وأنه ليس سوى عدو بالنسبة لها، عدو يجب مراقبته عن كثب. لقد أقلقها ذلك الشعور الذي انتابها حين اقترب منها لأن جسدها تذكر أشياء كثيرة أرادت نسيانها. لم تشأ أن تلتقي عينيه فأجابته وهي تنظر في أرجاء الغرفة:

ـ لا أرغب في التكلم عن الماضي.

ـ أما أنا فبلى.

اقترب منها أكثر حتى أحست بجسده يكاد يلامسها فقالت:

ـ لا يهمني ما تريده وما ترغب فيه.

غير أنها أحسّت بالدفء المنبعث من جسده وبعطره الجذّاب الفاتن وهذا ما زادها ارتباكاً.

أدرك أن دقات قلبها بدأت تتسارع فسألها بحنان:

ـ جوانا، ألا يهمك ما أريده؟

ـ لا تهدر وقتك في مغازلتي.

لم يكترث لكلامها الجاف والجارح بل راح يداعب شعرها الجميل بيديه وهو يقول:

ـ ما أشدّ إعجابي بشعرك الحريري هذا! ما زال على حاله.

أزعجها أسلوبه المنمق فأسرعت تفرُّ من بين يديه كفرس مذعورة ثم قالت بغضب:

ـ لا تلمسني!

ـ لكنك كنت تحبين لمساتي فيما مضى. ممَّ تخافين جوانا؟

ـ لست خائفة على الإطلاق.

حين رأت الابتسامة المرسومة على شفتيه حاولت أن تخفي

شعورها نحوه فانتقلت إلى موضوع أخيها مجدداً:

ـ كنا نتحدث عن دان.

ـ صحيح. أتعلمين أن شقيقك بحاجة للمعالجة؟ يجب أن يرى طبيباً نفسياً، فالقمار نتيجة مشكلة أعمق بكثير.

أعجبتها فطنته وبُعْد نظره فلم تحاول مناقشته لأنها هي نفسها كانت تعتقد ذلك. اتكأ غراي إلى حافة النافذة وقال:

ـ حاولت مرات عديدة أن أقنع والدك بضرورة عرض دان على طبيب أخصائي لكنه رفض الفكرة مؤمناً بأن الأمراض النفسية أوهام أطباء فقط وبأن لا وجود لها. لكن ما إنْ أخبره بالحقيقة، حتى يقتنع بأني محقٌّ فيما أقوله.

ـ خاصة إن وجد نفسه أمام خيارين: إما ابن له ميول إجرامية، أو ابن يحتاج للمعالجة والعناية الدائمة.

ـ تماماً. ولو كنت هناك لتضمي صوتك إلى صوتي لحصلنا على نتيجة أفضل.

ـ لا!

ـ إن كلّمت أنا وأنت والدك نتمكن من إقناعه.

ـ تعرف أني لم أتكلم إلى والدي منذ سنتين. وعلى أية حال فهو لن يصغي إلى كلامي كعادته، أما رأيك فيؤثر فيه أكثر من رأيي أنا.

بدت المرارة في صوتها وارتعش ثغرها حين أنهت كلامها. لقد جرحها والدها منذ سنتين، ولم تسامحه حتى الآن. لقد كان هو نفسه معجباً بشخصية غراي روسمور، ولمّا حاولت في تلك الأثناء أن تقنعه بحقيقة غراي رفض تصديقها وراح يكذّب كلامها كله.

عاد غراي يحاول إقناعها بضرورة الذهاب معه، فقال:

ـ لو أنك تهتمين لأمر دان لـ...

ـ طبعاً أهتم.

ـ لو كنت حقاً مهتمة لرافقتني وساعدتني في التحدث إلى والدك

الذي أصيب بنوبة قلبية حادة منذ أشهر قليلة ماضية ولم يعد الرجل الذي كنت تعرفينه. أحاول دائماً ألا أزعجه وأجنّبه دائماً المشاجرات والمناقشات. أنا متأكد بأن مسألة دان ستكون صدمة عنيفة له. إني أفعل ما بوسعي لأهوّن الأمر، وهنا يأتي دورك.

صمت قليلاً ونظر إليها. فيم كان يفكر؟ تساءلت وهي تنظر إليه عمّا يجول في خاطره. لم تكن تحب تلك النظرة في عينيه وذلك الصمت الذي يلفُّه بين الحين والحين والذي يوحي بأنه يخطط لشيء ما.

عاودت الحديث فقالت:

ـ ما زلت أعتقد أن والدي لن يصغي إليّ.

ـ برأيي، عليك العودة إلى بلدك في كل الأحوال. فليس أمام والدك متّسع من الوقت ليعيش.

انقطعت أنفاسها وثبتت عينيها في عينيه وقالت:

ـ لم يخبرني دان أن صحة والدي متدهورة لهذه الدرجة.

ـ ربما هو لا يعرف، فقد رفض والدك الاعتراف بأنه مريض وهو بارع في رفض ما لا يعجبه.

ـ إذاً، لِمَ تعتقد أنه...

ـ لقد حذّرني طبيبه الخاص بعد نوبته الأخيرة.

ـ واحتفظت بالخبر لنفسك؟ لماذا لم تخبر دان؟

ـ لم أعتقد أنه سيتدبر الأمر ويعالجه.

أربكها ذلك الجواب البارد. حدّقت إليه بحيرة، ولكنها أدركت أنه ربما كان على حق. كيف لدان أن يتصرف حيال هذه الأخبار؟ بالحزن والأسف؟ بالصدام العنيف مع واقعه؟ صحيح. لكن أما كان ليهرب من مواجهة الأمر؟ انقطع حبل أفكارها فراحت تقول:

ـ ليس لك الحق في أن تقرر ما تشاء. كان عليك إخباري لأقوم أنا بإخبار دان.

تعجّب لجوابها فرفع حاجبيه ثم أبدى ابتسامة ناعمة وقال:

- لم تكن الأجواء بيننا صافية.

- من حقي أن أعرف مدى خطورة مرض والدي. ليس لرأيي الخاص بك أية علاقة بمرض والدي. كان يُفترض بك أن تكتب إليّ لتخبرني.

- لقد خطر ذلك ببالي لكنني ظننتك ستمزقين الرسالة حالما تتعرفين إلى خطي.

- اتصل بي إذاً.

- أما كنت لتقفلي الخط في وجهي حين تسمعين صوتي؟

- آه، لا تكن سخيفاً.

حدّقت إليه قليلاً ثم تابعت تقول:

- تعلم أنه كان يجدر بك إخباري بأن والدي معرّض للموت في أية لحظة.

- لو كان عرضة للموت لأرسلت بطلبك.

قال ذلك بعجرفة باردة جعلت دمها يغلي، فانفجرت قائلة:

- بحق الجحيم من تظن نفسك؟ لأرسلت بطلبي وكأنني عاملة أو موظفة لديك؟ آتي في اللحظة التي تأمرني بها؟

- جوانا. حددي موقفك. في البداية، غضبت لأني لم أرسل بطلبك، والآن تغضبين لأني أقول إنني سأخبرك إن دعت الحاجة. يبدو أنني مهما فعلت مخطىء.

- أكره الحرية التي توليها لنفسك في إدارة شؤون عائلتي وعدم استشارة أيّ فرد منّا!

- ها أنا أستشيرك الآن. أخبريني، ماذا سنفعل بشأن دان؟ هل سترافقينني أم تفضلين أن أعالج الموضوع وحدي؟

رسم على محيّاه ابتسامة ناعمة فهو يعرف بأنها لن تتركه يتصرف كما يشاء خاصة بعدما أظهرت استياءها من تدخله المستمر.

- حسناً، سأعود إلى لندن. ربما عليّ تسوية بعض الأمور العالقة هنا. وعليه لن أتمكن من الرحيل قبل الاثنين.

هزّ كتفيه ثم قال:

- هذا يناسبني كثيراً. قضاء عطلة الاسبوع في نيويورك أمر يدعو للسرور.

- لقد حجزت لنفسي غرفة في فندق الكارليل، ومن الأفضل أن أذهب الآن لأرى ما إذا كان سائق التاكسي قد أوصل أغراضي إلى الفندق.

- إذاً لن ترى (أمتعتك) من جديد.

- آه، لا. ليست سوى حقيبة ثياب صغيرة، فأنا لم أجلب معي أغراضاً كثيرة. وعلى أية حال، فقد دوّنت رقم سيارته.

توجّه إلى الباب ولكنه صوّب نظره إلى دان الذي كان يلازم المطبخ:

- أترغبان في مشاركتي العشاء الليلة؟

لم يرد عليه دان بل أظهر تكشيرة حاقدة. فرمقته جوانا بنظرة وكأنها تقول كان عليك قبول الدعوة، فهما سيحتاجان إلى مساعدة غراي لإقناع والدهما بمدى خطورة حال دان.

تدخلت جوانا وأبدت قبولها لدعوة العشاء رغم معرفتها بأن دان سيغضب منها. سألته جوانا:

- أشكرك غراي، متى؟

- السابعة والنصف في فندق الكارليل.

قاطعه دان بقوله:

- عظيم جداً. تستطيع دفع فاتورة ذلك الفندق الفخم، أما أنا فلا.

لم يرغب غراي في مناقشته أو حتى في إظهار أدنى اهتمام بكلامه، فسارعت جوانا تقول:

- حسناً، سنكون هناك في السابعة والنصف.

لم يسبق لها أن تناولت العشاء في ذلك الفندق لكنها شربت بعض العصير هناك مع أصدقائها.

هزّ غراي رأسه وتوجّه نحو الباب ثم رحل. ما إن أغلق الباب خلفه حتى انفجر دان حانقاً:

ـ لن أتناول العشاء معه لأنني حالما أراه أفقد شهيتي. أخبريني عمّا تحدثتما عنه طيلة هذ الوقت؟ ماذا أخبرك عني؟ ماذا ينوي أن يفعل؟

ـ أخبرني أن والدي مريض للغاية.

ـ سبق أن أخبرتك.

ـ يرى غراي أن حاله أسوأ مما تعتقد وقد طلب مني الذهاب إلى مانشستر معكما.

أشرق وجه دان للخبر وقال مبتهجاً:

ـ وهل ستذهبين؟ آه، جوانا، أرجوك اذهبي فعندها تستطيعين التحدث إلى أبي الذي طالما اتفقتِ معه أكثر مني.

كان دان ذا شخصية غير ثابتة فهو سريع التأثر بالضغوطات التي حوله حتى أصبح يحتقر نفسه.

استسلمت جوانا لأفكارها. ما كان يجب أن تغادر مانشستر أبداً. كان عليها أن تبقى إلى جانب أخيها ترعاه وتنصحه. لقد تصرفت بأنانية مطلقة لكنها لم تجد حلاً آخر حينها.

لقد مرّت منذ سنتين بأزمة حادة، فمن الصعب أن يكتشف المرء أن الشخص الذي يحبه ليس صادقاً في شعوره بل يتصرف بدافع الطمع. كان عليها الهرب والانتظار ريثما يلتئم جرحها. لقد نسيت دان وها هي الآن تلوم نفسها، لو كانت إلى جانبه في أزمته، لما انغمس في المقامرة.

جلس دان إلى طاولة الطعام وسكب لنفسه فنجاناً من القهوة ثم قال:

ـ متى تأتين؟

ـ نهار الاثنين، عليَّ إنهاء بعض الأمور.

بعد أن شاركت أخاها احتساء القهوة، قامت وبدّلت ثيابها. كان دان يهمُّ بالخروج حين سألته أين يقصد فقال:

ـ فكرت بالذهاب لشراء بعض الورق والتنزه سيراً على حافة النهر.

أفرحها أن يُبدي أخوها تحسّناً في وقت قصير، فابتسمت له قائلة:

ـ وماذا عن الغداء؟ أتود أن نلتقي في مكان ما؟

اتفقا أن يلتقيا في الواحدة ظهراً في إحدى الاستراحات. بعد خروج دان في نزهته، قامت ببعض الاتصالات.

أمضت ساعة في توضيب شقتها قبل أن تقصد السوق لشراء بعض الحاجيات الضرورية، ولمّا اشترت ما تحتاج إليه توجهت إلى المكان الذي تواعدت فيه مع دان فوجدته قاعداً على أحد المقاعد مستمتعاً بأشعة الشمس وسط حشد من السوّاح. دعته لتناول الغداء في مطعم الهايت الذي يقدمون فيه أنواعاً مختلفة من الأطعمة اليونانية والتركية والأوروبية، وهناك اختار دان بعض الأطباق اليونانية اللذيذة. بعد الغداء، راحا يتجولان قرب النهر مستمتعين بخرير الماء المتلألىء تحت أشعة الشمس الدافئة التي شارفت على المغيب.

سألها دان:

ـ لماذا لا تسكنين في مكان قريب من هنا، فشقتك بعيدة جداً.

ابتسمت قليلاً وقالت:

ـ هذا ما يعجبني في شقتي، فهي هادئة كل الهدوء.

حكَّ أنفه ثم قال: «تعنين أنها مملة».

ـ لكلٍّ منّا ذوقه الخاص، وأذواقنا مختلفة اختلافاً كبيراً.

فجأة أصبح كلامه في غاية الجدية:

ـ ليتك لم ترحلي عن مانشستر جوانا! فلولا رحيلك لكانت الأمور أفضل حالاً.

ـ لا تفكر في هذا الموضوع، سنجد حلاً. إنما عليك التوقف عن المقامرة يا دان.

ـ أعدك.

لكنه كان قد وعدها ونكث بوعده. استقلا سيارة تاكسي وتوجّها إلى شقتها وذلك بعد مضيّ ساعة من الوقت. شعر دان بالنعاس بعد الجلوس في الشمس بضع ساعات. فقال لها وهو يتثاءب:

ـ لم أنم جيداً في الليلتين الماضيتين لذلك لن أذهب لتناول العشاء مع غراي. لا أستطيع تناول الطعام وهو يجلس أمامي، فلا شك في أن الطعام سيعلق في زوري. لا أفهم لماذا تسايرينه، فهو عدونا، ألا تدركين هذا؟

ابتسمت ابتسامة حزينة ثم قالت:

ـ أعلم ذلك. لكن يحتاج المرء أحياناً إلى فترات من الهدنة. سنحتاج إلى غراي للتحدث إلى والدنا لذا عليك مواجهة الأمر. تعرف جيداً أنه يستطيع إيذاءك إن أزعجته، بل لن يتردد فيفعل ذلك. سيخفف عشاؤنا معه الليلة من حدّة الموضوع، لذا اعتبر هذا العشاء نزهة قصيرة.

لم يُظهر دان تجاوباً يذكر للفكرة بل أصرّ على رأيه قائلاً:

ـ لِمَ لا تذهبين بمفردك وهكذا أحظى أنا ببعض الراحة.

نظرت إليه بحسرة وقالت: «لا تكن جباناً».

ولكن ما نفع كلامها وهو يتهرّب من الأشياء التي لا تتلاءم مع مزاجه، وتلك هي إحدى علاّته. تنهدت حين رأت عيناه تتوسلانها، فقالت:

ـ حسناً، دان نمْ الآن وسأوافي غراي إلى العشاء بمفردي.

لم يخطر ببال دان مشقة هذا العشاء على جوانا التي ستضطر للتظاهر بأنها تستمتع بالطعام وبالجو وبالرفقة أيضاً.

كان دان منغمساً بذاته لا يكترث البتة بما يحلُّ بغيره أو يزعجهم بل

أنه لم يشعر قط بأن أخته مغرمة بغراي روسمور. كان يعلم طبعاً أن والدها أراد منها أن تتزوج بغراي وإن كانت لا تحبه، وكان دان يتعاطف معها ويحثّها دائماً على الدفاع عن نفسها وتحدي جورج لستر. غير أنه لم يدرك الصعوبات التي كانت تواجهها حين رفضت الزواج به.

بدّلت ملابسها وارتدت ثوباً أسود لأنها تعرف أن فندق الكارليل يعجُّ بالسيدات الأنيقات. لم يكن ثوبها باهظ الثمن لكنه أنيق وبسيط، وقد وضعت قليلاً من أحمر الشفاه وظلال العيون فقط، فهي لم تشأ أن تتبرج كثيراً وذلك لتبقى على طبيعتها.

حين خرجت في موعدها، لم تسمع صوتاً من غرفة شقيقها فأدركت أنه يغطّ في سبات عميق. لو ذهب معها لما تحمّل وجود غراي ولما تحمّله الآخر.

استقلت سيارة أجرة إلى الكارليل الذي كان يقع في أفخم شوارع نيويورك، وقد اعتبر مقصداً للمجتمع المخملي في معظم أمسيات الصيف.

دخلت الصالة فأرشدها عامل الاستعلامات إلى المقصف قائلاً: إن غراي قد مرَّ به منذ دقائق قليلة. توجهت إلى المقصف وإذا بشخص يقف ملوّحاً لها منادياً باسمها. اقتربت منه وقد بدت الدهشة عليها حين رأته. كان هاري فوستر معروفاً بجاذبيته الساحرة، وبسمرته المدهشة، وعينيه اللعوبتين. كان صحافياً يكتب في صحيفة ساخرة، وقد تمتع بسحر خاص على النساء اللواتي كنَّ يحمْنَ حوله أينما حلَّ، وكان أصدقاؤه الشبان ينعتونه بزير النساء. غير أن علاقاته بالنساء سرعان ما كانت تنتهي. لم يحصل أن كانت جوانا إحدى تلك السيدات المغرمات بهاري رغم إعجابها بفطنته وذكائه وهذا كان حاله أيضاً، فقد أُعجب بها إعجاباً شديداً لأنها لم تحاول جذبه إليها قط.

سألها عمّا تفعله في الفندق ولمّا أجابته أنها هناك مع صديق أبدى دهشة كبيرة. وعندما دعاها إلى احتساء شراب اعتذرت، ذلك أنها رأت

النظرة الحاقدة المطلة من عيني السيدة التي كانت ترافقه. استأذنت منهما وسارت تبحث عن غراي. ولكن هاري لحق بها وراح يحدثها عن المرأة التي كانت برفقته. فكان أن أصغت إليه جوانا ضاحكة حتى ودّعها بابتسامة حلوة فطبعت على وجنتيه قبلتين ناعمتين وما إن ابتعد حتى ظهر غراي الذي كان واقفاً على مقربة منهما يفكر والانزعاج باد عليه.

توجّه إليها قائلاً:

- أين التقيت بتلك الشخصية الأشبه بالجن؟ أهو أنموذج عن الشبان الذين تُخرجين برفقتهم أثناء إقامتك في أمريكا؟ لا يسعني أن أقول إنَّ ذوقك رفيع. فلو طبعت نساء العالم قبلاتها على خدّه، لما تحوّل إلى أمير جميل.

* * *

٣ ـ عودة الابن الضال

تناولا العشاء في حديقة الفندق الشهيرة ذات الجدران العالية، والموسيقى الممزوجة بأصوات المتسامرين فيما بينهم. كانت الحديقة غنية بأحواض الزهور والتماثيل والشموع المضاءة، أما السماء فكانت أرجوانية يتخللها بعض النجوم البيضاء التي كانت تبعث أنوارها إليها. كان الجو ساحراً بالفعل، وبدت المناسبة رومانسية إلى حدٍّ بعيد.

أخبرته جوانا أن هاري هو أحد أصدقائها، فراح غراي يسألها كيف كانت تمضي أيامها في السنتين الماضيتين ولكنها عندما أجابت حرصت على عدم إعطائه تفاصيل كثيرة، فقد أزعجتها أسئلته الكثيرة وأحسّت بأنه قادر على استعمال المعلومات التي تعطيه إياها ضدها. سألها وهو يراقب عينيها اللتين كانتا تعكسان نور الشموع:

- إذاً لا أحد يشغل قلبك حالياً؟

- أنا لم أقل ذلك!

- نعم، فأنت لم تقولي الكثير.

نظرت إليه مبتسمة ابتسامة باهتة وقالت:

- ولماذا أجيب وأنت ما انفككت تسألني عن حياتي الخاصة فيما بقيت صامتاً بشأن حياتك الخاصة.

ابتسم غراي قليلاً ثم قال:

- لم تطلبي ذلك.

- هذا لا يهمني.

لم يعجبه جوابها فأسدل جفنيه وحسر ابتسامته، فسرّها انزعاجه منها ومدت يدها تتناول الكوب بيدٍ محكمة ثابتة بحيث لم يظهر عليها أيّ ارتباك.

احتسيا معاً بعض الجامايكا اللذيذة ثم باشرا بالطعام، وقد أعجبها ذوقه في انتقاء الطعام لكنهاحتفظت بإعجابها لنفسها.

- لم يتقبل دان فكرة العشاء؟

- الأنسب القول انه لم يتقبل فكرة مواجهتك.

- إنه مستاء من وجودي، مع أنه لا يملك أية دوافع لذلك. إذن هو غير منطقي في تفكيره.

- أتعتبر استياءه منك أمراً غير منطقي؟ ألا يفعل الجميع ذلك؟

أتى الخادم ورفع الأطباق وحين انتهى من عمله اقترب غراي منها قائلاً:

- لا تمثلين أنت وأخوك الجميع.

عاد الخادم يحمل عصيراً سكب منه ثم مضى. وعندما ابتعد ابتسمت ببرودة ثم قالت:

- يعتبرك والدي ساعده الأيمن وقد لاحظتّ ذلك من قبل.

- ألهذا يستاء مني دان؟ أيعتقد أن وجودي في الشركة هو ما يحول بيني وبين فوزه بثقة أبيه؟ أنا لا أنافس دان، حتى وإن كان يريد منافستي، ذلك أنني أقوم بمهمتي بقدر ما...

قاطعته جوانا بحماس قائلة:

- أنت طموح جداً.

- وما العيب في ذلك؟ أتظنين بأن الطموح داءٌ يُعاب عليه المرء؟

- ليس الطموح، بل الطريقة التي يفكر فيها هذا الانسان الطموح!

- إلامَ تلمّحين؟ إلى أني غير شريف؟ مخادع؟

- آه، أعرف حق المعرفة بأنك أذكى من أن تقترف أخطاءً تُظهرك مخادعاً. بل أنت بعيدٌ عن البشر لتقترف كما يقترفون.

- لست من البشر؟

استنكر لكلامها كثيراً، ثم تابع يقول:

- بالله عليك ماذا تعنين؟ وهل تقدرين شخصية أخيك دان أكثر مني؟ هل كنت سأعجبك لو كنت ضعيفاً خاملاً؟ ماذا تريدينني أن أفعل؟ أختلس الأموال.. أتعاطى الخمر والكوكايين؟

- لا تكن سخيفاً! لم أقصد هذا كما تعلم.

- إذاً ماذا تقصدين؟ أنك تفضلين أن يكون الرجال ضعفاء لترينهم يركعون تحت قدميك؟

عاد الخادم وبدا كأنه سمع نهاية حديثهما.

شعرت بأن وجهها بدأ يشتعل وأحسّت بالغضب. كان يمكنه أن يوفر جوابه هذا ريثما ينتهي الخادم من تقديم الحلوى، ولكنها فيما كانت تحتسي شرابها راحت تفكر في ما حدث. من المؤسف أنهما تناولا تلك الوجبة الفاخرة في ذلك الجو المتوتر. فالطعام كان رائعاً والمكان خلاباً، فقد سمعت الكثير عن فندق الكارليل من أصدقائها حتى رغبت في تناول العشاء فيه. لاحظت أن لائحة الطعام لم تحمل أسعار، ولكنها تعلم بأن العشاء باهظ الثمن.

تأملت بذلته الأنيقة الفاخرة وتساءلت إن كان والدها يسمح له بإنفاق تلك المبالغ الطائلة من حساب الشركة. اقترب منهما أثناء تناول القهوة هاري وصديقته وقد سألها هاري مستفسراً:

- كيف وجدتِ الطعام؟

ابتسمت وردّت عليه قائلة:

- إنه رائع!

نظر هاري إلى غراي نظرات متعددة وهذا ما دفع جوانا إلى القيام بالتعارف. ابتسم غراي ببرودة ثم رفع رأسه إلى أعلى، أما هاري فقد كان مسروراً لأنه معتاد على نظرة الحسد من قبل الرجال الذين سمعوا عن شهرته مع النساء.

تجاهل هاري تلك النظرات وسأل جوانا عما إذا كانت ستحضر حفلة الغد. فأجابته:

- آه، حفلة كاربن؟ لقد نسيت ذلك.. لا، أخشى أني لن أذهب فأنا مسافرة إلى مانشستر نهار الاثنين.

أبدى هاري دهشة كبيرة ثم سألها:

- وكم ستمكثين هناك؟ هل ستمكثين طويلاً؟

هزت رأسها وهي تعلم أن غراي يراقبها بإمعان وقالت:

- لا لن أمكث هناك طويلاً وسأعود إلى نيويورك حسب الموعد المحدد لنا. إذاً، أراك هناك.

ابتسم هاري ابتسامة شريرة وهو ينظر إليها وقال:

- إني أنتظر عطلة الاسبوع التي سنقضيها معاً بفارغ الصبر، والآن إلى اللقاء يا عزيزتي.

بعدما انسحب هاري ببطء نظرت إلى غراي محاولة ألا تبتسم. ولكن غراي نادى الخادم وسأله عن الحساب ثم انطلق وإياها إلى الخارج حيث طلب لها سيارة تاكسي. بعد ذلك اقترب منها سائلاً:

- ستخرجين مع ذلك الأمريكي في عطلة الاسبوع؟

هزت رأسها وقالت:

- فلنكن أكثر دقة في التعبير. سأخرج معه في الاسبوع القادم.

- يجب أن تلغي ذلك الموعد لأنك لن تتمكني من الذهاب.

- بل سأذهب.

صعدت إلى التاكسي وكأنها تريد إنهاء الحديث ولكنه اقترب منها متكئاً إلى شباك التاكسي ثم قال:

- ستكونين في مانشستر في تلك الأثناء.

أجابته بنبرة ساخرة:

- أشكرك على هذا العشاء الرائع. طابت ليلتك.

ابتعد عن السيارة وهو يشعر بالإحراج، أما هي فاتكأت إلى المقعد

وأغمضت عينيها. تمنت ألا يتصرف غراي بحماقة مع هاري الذي زاد في تفاخره لأنه كان يعلم أنها المرة الأولى التي تخرج فيها جوانا للعشاء في الكارليل بصحبة رجل على انفراد. لم يكن لديها صديق مع أن العديدين عرضوا عليها صداقتهم، لكنها لم تجد في أيٍّ منهم الشخص الذي كانت تبحث عنه بحيث يملأ الفراغ الذي تركه غراي.

حاولت في السنتين الماضيتين مراراً أن تقيم علاقات مع أشخاص ذوي مراكز عالية ولكن كانت ما إن تبدأ بمقارنتهم بغراي حتى تجدهم سطحيين ودون المستوى. كانت تحسب أن غراي يحبها لذاتها، لكنها سرعان ما اكتشفت العكس. فهو مثال العامل الطامح الذي يكرّس حياته وقلبه معاً لبلوغ غايته في الحياة. لقد كرهته أشد الكره لكنها لم تستطع نسيانه بل لم تستطع أن تغرم بأي رجل آخر بعده رغم محاولاتها.

في اليوم التالي تناولت الغداء مع أخيها دان في مطعم عائلي صغير. طلبا الروستو واحتسيا القهوة وسط جماعة من الناس الذين كانوا يتنزهون بالقرب من النهر.

قال دان لأخته:

- أحب العيش في نيويورك لأنها مدينة مميزة.

- آه، لكنها في آب تختلف عنها في بقية الأشهر، تعال في تشرين الأول لترى روعتها.

- يبدو أنك تعشقينها.

ضحكت ثم قالت:

- صحيح، أنا أحبها كثيراً، فهي مكان عيشي وعملي.

عادا أدراجهما إلى الشقة وتوقفا في أحد المقاهي ليشربا بعض القهوة. كان السرور بادياً على وجه دان الذي شعرت به الآن هانىء البال ناسياً متاعبه. سارا معاً وراحت تحدثه عن حياته الخاصة:

- هل لديك صديقة في الوقت الحاضر؟

ابتسم ثم قال: «أكثر من دزينة».

- أعني هل هناك من علاقتك بها متينة؟

- أفهم ما تقصدينه، لكن ليس لدي واحدة. ماذا عنك أنت؟

شحب وجهها قليلاً وهزت رأسها، ففهم الانزعاج الذي بدا على وجهها، ثم سألها:

- أتعتقدين أننا ممن يصعب إرضاؤه؟ جوانا أتفكرين بالزواج؟ في الواقع أنا لا أفكر فيه فلا أراني قادراً على تحمل المسؤوليات. بل إن مجرد التفكير فيه يزعجني، الولادة، تأمين العيش، والإخلاص لإمرأة واحدة.. لا ليس أنا!

- من المؤسف أنك لا تحب العمل في الشركة. هل العمل هو ما تكرهه أم...؟

- أكره البقاء في مكان مقفل طيلة النهار. فأنا أمضي أيامي وراء ذلك المكتب أملي الرسائل على تلك المرأة التي يفترض أن تكون سكرتيرتي. وغالباً ما يغلبني النعاس أثناء العمل. ليتك ترين تلك السكرتيرة، فقد انتقاها لي «غراي روسمور» وكأنه جاء بها من حلبة المصارعة. فهي ضخمة القامة، أجشّ صوتها الذي أرعبني وما زال يرعبني.

ضحكت قليلاً وقالت:

- مسكينة تلك المرأة فأنا لا أحسدها.

تنهدت قليلاً ثم أضافت:

- لو أبديت اهتماماً بالخشب لرغبت في العمل أكثر.

ضحك دان ثم قال:

- أتقصدين أن أشتغل في المصنع؟ لو فعلت لكان ذلك نهايتي، فحينما يصبح غراي روسمور هو المسؤول الوحيد، يضعني خلف ماكينة أنتظر الأوامر. أذكر أنني حين كنت طفلاً كنت أهوى العمل مع حفّاري الخشب.

كانت شركتهم من أهم المصانع المنتجة للخشب والموبيليا في بريطانيا، وكان لديهم مصانع عديدة، واحد في ميدلاند والثاني في الشمال والثالث في مانشستر، وكان فرع مانشستر الفرع الأساسي. منذ ست سنوات كانت الشركة ملكاً للعائلة، وقد تعب جورج لستر حتى استمرت.

فكرت قليلاً ثم قالت:

- كان يجب أن تعمل في المصنع من قبل، فأنت تهوى الحفر والنحت، أليس كذلك؟

- نعم ولكنها كانت مجرد هواية...

توقف قليلاً ثم قال:

- لكن ما أهمية ذلك الآن؟

وصلا إلى المبنى الذي كانت تسكن فيه فسألته عمّا كان ينوي قوله حين دخلا، كانت السيدة هانسل وزوجها يتناولان الغداء وكانت رائحة الشوربة تعبق في أرجاء المدخل. فتلك السيدة ماهرة جداً في تحضير هذا النوع من الحساء، إذ أنها تضيف التوابل الفاخرة والأعشاب والبندورة وتتركها تغلي على نار خفيفة.

أعجبت دان تلك الرائحة فسأل:

- ماذا يأكلون؟ ما أشهى هذه الرائحة!

- إنها شوربة بالسمك.

- تبدو لذيذة.

- صحيح، فالسيدة هانسل تجيد طهوها حقاً.

ارتقيا الأدراج العالية ببطء ومع ذلك أحسّ دان بالتعب فقال لأخته:

- يا إلهي! كيف تصعدين تلك الأدراج يومياً؟ لِمَ لا تسكنين في الطوابق الأولى؟

- لأن الطابق العلوي أرخص وأضف إلى ذلك أنني أحب الهدوء

والاستمتاع بالمناظر من أعلى.

دخلا المطبخ الذي أسرعت فيه تحضر الشاي الساخن ثم سألته:

ـ ماذا كنت تنوي أن تقول حين وصلنا إلى المدخل؟ أذكر أننا كنا نتحدث عن الخشب والحفر.

ـ حين كنت صغيراً أحببت نحت الخشب وحفره عوضاً عن العمل في المصانع الأوتوماتيكية، وكنت من أشد المعجبين بتلك الطريقة الفنية، فهي كالسحر! تمسكين بخشبة ثم تمضين فيها حتى تصبح تحفة. نعم هي تماماً كالسحر!

ـ هل حدث أن أخبرت والدي بذلك؟

ـ آه، لقد تحامقت وأنا في الرابعة عشرة من العمر وأخبرته بذلك.

ـ وماذا كان رده؟

ـ قال إني أمزح، وحين أخبرته بأني جاد في ما أقوله، طلب مني أن أكبر، فتلك الصنعة من اختصاص الحرفيين الهواة. وكذلك أمرني بأن أنتبه إلى شؤون الشركة وبألا أضيع وقتي في التصور والتخيل، فكان أن طردت الفكرة من بالي.

تجهّم وجهها ثم قالت:

ـ هكذا بسهولة؟

ـ ماذا كنت تتوقعين أن أفعل؟ أتشاجر معه؟ تعرفين طبعه فهو لايصغي لأحد بل ينتظر من يلبّي أوامره. وعلى أي حال، أشك في أني كنت ماهراً في تلك الحرفة. وحتى لو تعلمتها وأتقنتها منذ سنوات، فمن المؤكد أني كنت سأنصاع لرغبة والدي في النهاية.

ـ لا تكن ضعيف الحيلة هكذا.

ـ لست ضعيف الحيلة، بل منطقي وواقعي.

ـ أعتقد أنك تحتاج للتشجيع باستمرار...

عندما رنّ جرس الهاتف قامت جوانا لتجيب متنهدة. أمسكت بالسماعة فإذا بغراي يسأل وقد بدا وكأنه يتكلم من مكان بعيد:

ـ أين كنت طيلة النهار؟

ـ أتنزه مع دان.

ـ ليتك تتنزهين معي الليلة لتعرفيني إلى نيويورك.

ابتلعت ريقها وأحست بالإحراج ثم قالت:

ـ عليَّ أن أنام باكراً الليلة فأمامنا سفر شاق غداً.

لم يشأ أن يلحّ عليها لئلا تغضب منه. أما هي فوضعت سماعة الهاتف مكانها وسرعان ما ندمت على رفضها لدعوته، فالليلة ساحرة والقمر ساطع وكان بإمكانها أن تتنزه أو تبحر في مركب متلألىء فوق سطح الماء بهدوء وأمان. ارتعش جسمها وراحت تلوم نفسها على ذلك الخيال الخصب. بدا خيالها رائعاً لكنها أدركت أن عليها النوم باكراً لكي يتسنّى لها ملاقاة والدها بوجه نضر بعد غياب دام سنتين.

في اليوم التالي أتى غراي فاستقلوا جميعهم سيارة تاكسي أقلتهم إلى المطار. كانت الشوارع المؤدية إلى المطار مزدحمة بالسيارات ذهاباً وإياباً. في هذه الأثناء راح دان يقضم أظافره حنقاً لأنه مُجبر على مرافقة غراي، عدوه الصعب المراس، أما جوانا فأحست بأنها تكاد تختنق إذ كانت تجلس بين غراي ودان كقطعة لحم محشوة في سندويش. كانت ركبتها تلامس ركبة غراي الذي كان يضع يده خلف ظهرها بهدف إفساح المجال لها كي تجلس مستريحة. أحسّت بأصابعه مع أنها لم تلمسها إطلاقاً، لكنها كانت هناك، تماماً خلف رقبتها تنقر على المقعد على أنغام الموسيقى الشيء الذي أثار جنونها.

تنفست الصعداء حينما وصلوا إلى المطار الذي أُجري فيه ما يلزم من تفتيش ووزن وانتظار. اشترت بعض المجلات لتقرأها أثناء الرحلة أما غراي ودان فانتظرا في الكافتيريا. قرأ غراي صحيفة اليوم فيما راح دان يحدق إلى ما حوله بغير هدف، وما تصرفه هذا إلا دليل على قلقه لأنه عائد إلى بيته وكأنه سجين هارب من السجن. لم ينظر إلى الأمر إلا من وجهة نظره هو فقد نسي أن أخته عائدة بعد غياب سنتين.

حين حطّت الطائرة، شعرت جوانا ببعض المرارة. فها هي الآن في وطنها بعد غياب دام سنتين. كيف سيستقبلها والدها؟ أيكون مسروراً لعودتها أم متجهماً؟ كانت تعرف أنه ما زال على حاله وأن منزلهم ما زال كما هو. لقد أخبرها غراي بأن صحة والدها تتدهور أما دان فطمأنها عليه، وهذا شيء طبيعي، فهما ينظران إلى الأمور من وجهات نظر مختلفة، خاصة أن غراي يعمل لدى جورج لستر، فيما دان لا يعدو أن يكون ابنه الذي هو عرضة لانتقاداته اللاذعة باستمرار.

لم يشعر دان بحب والده له ولهذا أحسّ بفقدان العاطفة والأمان العائلي. بل أن ذلك الأب لم يكترث ولو قليلاً لرحيل ابنته جوانا، فقد كان إنساناً منغمساً بأعماله وحياته الخاصة.

غير أنه الآن سيرى أنها عادت لتلومه وتعاتبه على عدم اهتمامه بابنه وعلى حقده المستمر عليه.

كان غراي قد ركن سيارته قرب المطار وما هي إلا دقائق حتى وصلوا إليها فاستقلوها وانطلقوا. كانت جوانا تجلس إلى جانبه تراقب ضواحي مانشستر بعينين مشتاقتين ولكن المنطقة لم تتغير كثيراً في السنتين الماضيتين، ما إن وصلوا إلى داخل المنطقة حتى توقف المطر ولاح في الأفق قوس قزح بألوانه الزاهية. كانت الحقول غنية بالقمح والشعير الناضج الذي يقف مستقيماً بانتظار الحصادين ومناجلهم وكانت الغربان تحلق في الأعلى بحثاً عن فريسة تقتات بها.

جعلها هذا المنظر تتجهم، فأبعدت ناظريها عن تلك الغربان المشؤومة ونقلتهما إلى الخلف إلى حيث دان شارد الفكر ينظر من الشباك والعبوس يلفّ وجهه.

سألها غراي:

- كيف تشعرين حيال عودتك؟

نظرت إليه ثم قالت: «أشعر شعور من يقصد طبيب الأسنان».

ابتسم لها وقال:

- سيتغير حالك حين نصل.

- أيعرف والدي بقدومنا؟

- لا، قررت ألا أخبره لأنني خشيت ألا أجد دان عندك.

- كنت تخشى أن يهرب مجدداً؟

- نعم صحيح.

هي أيضاً كانت تخشى ذلك ولكنها ما لبثت أن أحسّت بالأمان حين صعد معهما إلى السيارة. تابعت جوانا تسأله:

- ألهذا أصررت على مرافقتي لكما؟

لم يبدِ حراكاً وكأنه تمثال جامد. فكّر في سؤالها ثم أجاب:

- عودته معنا أحد الأسباب.

- والأسباب الأخرى؟

- سأخبرك بها حينما نكون على انفراد.

اهتزت أعصابها. ماذا يقصد بذلك؟ ولكنها صحّحت له أفكاره السارحة حين قالت:

- لن أمكث طويلاً، يجب أن أعود إلى نيويورك كما تعرف.

تغيّر وجه غراي واختفت البسمة عن وجهه وقال:

- لست جادة في ما تقولينه. لا أصدق أنه من المعقول أن تقيمي علاقة مع شخص كذلك المعتوه!

- لم أقل هذا! على الأقل حتى الآن.

وجدت صعوبة في الكذب عليه. صوّب عينيه الحاقدتين إليها ثم قال بلهجة الآمر الناهي:

- ولن تفعلي أبداً.

أغضبها تدخله المستمر في حياتها فانفجرت قائلة:

- وما شأنك أنت؟ إنه قراري أنا!

- سنرى لاحقاً.

أوقف السيارة في الكاراج ولم تكن قد لاحظت أنهم قد وصلوا إلى

المكان المقصود لأنها كانت منغمسة في شجارها مع غراي.

قالت وهي تنظر إلى بيتهم القديم المعمم بالقرميد الأحمر.

- لِمَ لا تهتم بشؤونك الخاصة وحسب؟

- لن أدعك تذهبين، هذا كل ما في الأمر.

احمرَّ وجهها وأحسَّت بالغيظ ثم ردت قائلة:

- أنت لن تدعني أذهب!؟ لا أذكر أني استأذنتك بالرحيل ولا شأن لك في أن تعرف مع من أذهب ومع من أمضي ليالي!

خرج من السيارة وأغلق الباب خلفه بقوة جعلت صداه يتردد في أرجاء المنطقة. لم يسبق لها أن رأته غاضباً إلى هذا الحد. لقد أثارت كلماتها جنونه وجعلته يفقد صوابه حتى خالته سيضربها.

استنكر دان تصرفه وقال:

- هاي، ماذا دهاه؟

التفتت إليه فرأت وجه أخيها شاحباً مع أنه حاول الابتسام لكي يخفي توتره وقلقه. أرادت أن تهوّن عليه الأمر فقالت:

- هيا بنا يا دان، فلندخل المنزل معاً. إن والدنا لا يعرف شيئاً حتى الآن.. هذا ما قاله غراي.. لذا سأخبره لاحقاً أما أنت فلا تحاول.

- لا أحاول! ليتني أستطيع. كنت أفكر في ما سأقوله له.

- دع الأمر لي.

قالت هذا وهي تخشى أن يهرب مجدداً بسبب خوفه.

وقف غراي في الرواق وراح يرنّ جرس الباب. اقتربت جوانا وأخوها حين فتحت السيدة براون - مدبرة المنزل - الباب وراحت تحدق إلى الفتاة باستغراب:

- يا إلهي! من أرى؟

- مرحباً سيدة براون. كيف حالك؟

- حسناً...

لم تستطع إتمام كلامها أو ضبط أعصابها من أثر المفاجأة، ولكنها

تمالكت نفسها قائلة:

- أنا بخير.. ولكن والدك لم يخبرني بقدومك. تبدين سمراء! هل الشمس حادة في نيويورك؟ لن أسألك عن حالك لأنك تبدين بحالة جيدة. حسناً، آسفة لأني أتكلم بلا توقف.. لقد مضى وقت طويل على غيابك يا عزيزتي. تعالي، ادخلي، لن نمضي النهار بأكمله أمام الباب. لا شك في أن والدك ينتظرك على أحرّ من الجمر.

ولكن جوانا لا تعتقد أن ذلك صحيح. حمل غراي الحقائب من السيارة وعندها التقت عيناه بعينيها لكنها أبعدتهما بسرعة.

سمع جورج لستر ضجة وأصواتاً غريبة في الرواق فنزل يستطلع الأمر. أزاح النظارات عن عينيه وهو يسأل:

- ما الأمر سيدة براون؟ لماذا كل تلك الضجة؟ تعلمين أني لا أحتمل...

صمت فجأة حين رأى ابنته تقف أمامه فقال وهو لا يصدق ما تراه عيناه:

- جوانا؟!

لم تتوقع جوانا ذلك الحماس من والدها، ولكنه بدا لها طاعناً في السن وكأن حاله ساءت بعد رحيلها.

كان شعره قد اصطبغ بالشعيرات البيضاء التي دلّت على تقدمه في السن. أحسّت بالألم والتعب في عينيه الضيقتين، اقتربت منه وقالت:

- مرحباً أبي.

قبّلته بحماس شديد فسألها وهو لا يزال دهشاً:

- ابنتي! أنتِ هنا حقاً!

لم يكذب غراي عليها. فقد تغيرت حال أبيها كثيراً وأصبح متعباً إلى درجة أن أيامه في الحياة بدت معدودة. لم تستطع النطق بأية كلمة بل راحت تعضُّ على شفتيها وقد سالت الدموع فوق وجنتيها الورديتين. أمسكت بفوطة ومسحت دموعها ولكنها استغربت نفسها

www.liilas.com

فلم تشعر بتلك العاطفة المتأججة تجاه والدها من قبل كما لم تحس بحنانه نحوها. لم تعرف كيف تتصرف فحوّلت بصرها إلى غراي ترجوه المساعدة.

فهم غراي ملامح وجهها فوضع الحقائب على الأرض ثم قال: «لقد أتيت بها من أمريكا».

نظر إليه جورج لستر بدهشة وقال:

ـ أتيت بها بنفسك؟

أحسَّ العجوز بالفرح والغبطة فرسم على شفتيه ابتسامة عريضة، ثم لفَّ ذراعيه حول ابنته وحضنها بحنان. كانت المرة الأولى التي يتصرف بها تلقائياً دون تصنع أو تكلف فقد أسعده ما سمعه لتوّه فقال مشجّعاً:

ـ ابنتي العزيزة! هذه أخبار رائعة. وأنت يا غراي لقد تصرفت بسرية تامة، ولكن لا يهم ولا يسعني الآن إلا أن أقول إنني سعيد برؤيتكما معاً من جديد.

تجهّم وجه جوانا حين أدركت أن والدها ذهب بفكره بعيداً. نظرت إلى غراي بغضب وكانت عيناها تأمرانه بتصحيح الفكرة لوالدها منعاً لأي التباس. غير أن غراي لم يقل شيئاً بل اكتفى بإظهار ابتسامة النصر على وجهه. أما جورج لستر فقد عاد يسأل والسرور يطفح من وجهه:

ـ متى سوف...؟

توقف فجأة عن الكلام وراح يلتقط أنفاسه واضعاً يده على قلبه وكأنه يريد تمزيقه. رأته جوانا يهوي على ركبتيه فأمسكت به بسرعة وقد اختفى لون وجهها وصرخت:

ـ أبي! ما بك؟

اندفع غراي إليهما وأمسك بالرجل العجوز عن الأرض. ثم وضع يده حول خصره ورفعه من كتفه وحمله إلى غرفة الجلوس وهناك

وضعه على الكنبة العريضة ثم صرخ منادياً السيدة براون.

ـ سيدة براون! اتصلي بالإسعاف بسرعة. وأنتِ جوانا افتحي دُرج المكتب فهناك أقراص. هيا اركضي، أحضريها بسرعة. وأنت دان، أحضر كوباً من الماء بسرعة، هيا بسرعة لا تحدّق إليَّ هكذا، تحرّك!

أسرعت جوانا إلى المكتب فوجدت علبة دواء حملتها وهمّت بالخروج لكن ثمة ما لفت انتباهها فجأة: كانت صورتها مثبتة داخل إطار من الفضة على مكتب والدها، وهي صورة التقطت لها حين كانت في الحادية عشرة من عمرها. كان النمش يغطي أنفها وكانت أسنانها متباعدة بعض الشيء.

لم تذكر شيئاً عن تلك الصورة حتى رأتها الآن. ابتعدت وهي تعضُّ شفتيها ثم أسرعت إلى غراي وناولته الدواء. أكان والدها يحتفظ بتلك الصورة منذ اثنتي عشرة سنة؟

فتح غراي زجاجة الدواء وأخذ قرصين في كفّه ثم نظر إلى ما حوله وقد فقد صبره من برودة دان.

ـ هيا يا دان. ما بك؟ أسرع!

أغمض جورج لستر عينيه وخفتت أنفاسه فراحت جوانا تلوي أصابعها كطفل يطلب أمنية، وقالت في نفسها:

ـ يا إلهي! أرجوك. لا تمته، يجب أن يعيش، يجب ألا يموت!

حدّقت إلى غراي بإمعان وهو يحمل والدها بلطف ويعطيه الدواء مع بعض الماء. كان غراي يعرف كيف يتصرف. فهو لم يفقد سيطرته على نفسه ولهذا كرهته في السابق ولكنها في هذه المحنة لم تجد سواه تستند إليه، إنه رجل بكل معنى الكلمة!

* * *

٤ ـ أود لو أقتلك!

غطّت جوانا في سبات عميق وهي ما تزال جالسة في غرفة الانتظار داخل المستشفى. اقترب منها غراي وهزّها قليلاً بقصد إيقاظها، فهبّت من نومها وقد نسيت كل ما جرى، بل إنها لم تذكر أين هي للحظات ولكنها سرعان ما تذكرت الحادثة فأسرعت تسأل غراي:

ـ هل هو...؟

قاطعها غراي وهو يجيب:

ـ نائم، إنه مخدّر الآن وقد سرَّ الطبيب للتقدم الذي أظهره.

تنهدت تنهيدة يشوبها بعض الراحة. لقد مضت عليها ساعات طوال في غرفة الانتظار قلقة مضطربة على والدها الذي كان يخوض معركة ضروساً مع المرض. شاء غراي أن يطمئنها ويقنعها بالذهاب إلى المنزل، فقال:

ـ جوانا، لا جدوى من الانتظار، فلن يسمح الأطباء لك برؤيته، لذا من الأفضل أن أقلك إلى المنزل.

أجابته وقد اختفى لون وجهها: «المنزل؟».

ـ هيا يا جوانا. أنت لا تحتاجين إلا لبعض الطعام والراحة. طلع الفجر أم تراك لم تلحظي ذلك؟!

جال نظرها في أرجاء الغرفة فأدركت أن الوقت فجراً ولكن الليل مرَّ دون أن تحسَّ بقدوم الفجر وذلك لشدة نعاسها وتعبها. أظهرت قلقاً شديداً وبدا وجهها مكشراً:

ـ لقد ذهب منذ نصف ساعة للقيام بنزهة سعياً إلى بعض الهواء العليل. قال لي إنه سيستقل سيارة أجرة ويتوجّه إلى المنزل.

ـ وتركته يذهب بمفرده؟

ـ لست حارسه الخاص.

ـ وماذا لو هرب مجدداً؟

ـ يهرب ويترك والده مريضاً هكذا؟؟ أنت تسيئين الظن به حقاً!

كان صوت غراي يبعث إليها الطمأنينة والراحة، ولكنها تعلم أن دان متهور وقليل التدبير.

ردت عليه بصوت منخفض وقالت:

ـ قد يفعل أي شيء.

ثم لحقت به إلى الممر. كانت المستشفى قد بدأت تعجُّ بالزائرين وبالممرضات والأطباء. انبعثت رائحة الطعام من المطبخ الكائن في الطابق السفلي فأحست جوانا بالجوع غير أنها لم تشعر برغبة في تناول أي شيء على الرغم من مرور ساعات عديدة.

في طريق العودة إلى المنزل، نظرت إلى غراي الذي رأت أنه قد نسي أن يحلق لحيته كما لاحظت شحوب وجهه فقالت:

ـ وجهك ينذر بالشؤم.

نظر إليها بارتياب ثم قال: «ماذا؟»

أجابته قائلة: «نسيت أن تحلق لحيتك».

نظر إلى وجهه في مرآة السيارة فأزعجه ما رآه فوضع يده حول ذقنه وقال:

ـ معك حق.. عليَّ أن أحلق اليوم.

ثم نظر إليها وقال وهو يقصد إغاظتها:

ـ وأنت! هل نظرت إلى نفسك في المرآة؟

ـ أفضل عدم النظر.

ضحك قليلاً ثم قال:

- طبعاً. فعلى وجهينا علامات التعب والإرهاق الشديدين بادية، فقد كانت ليلة غير عادية.

تنهدت بعمق أما هو فوضع يده على ركبتها وراح يربت عليها، فأزعجها تصرفه وأسرعت تبعد يده عنها وهي حانقة.

وصلا إلى المنزل بصمت تام. وهناك استقبلتهما السيدة براون البادي عليها القلق والخوف:

- كيف حاله الآن؟

أجابها غراي يطمئنها:

- إنه بخير. لقد أبدى تحسناً ملحوظاً على ما أعتقد، والحمدلله أنها لم تكن نوبة حادة.

نظرت السيدة براون إلى جوانا فوجدتها شاحبة:

- يسرني هذا الخبر، لكن يا عزيزتي يجب أن تستريحي قليلاً. لِمَ لا تخلدين إلى فراشك لبعض الوقت؟

قاطعها غراي قائلاً: «ليس قبل أن تتناول الفطور».

ردت جوانا قائلة: «لا، لست جائعة».

لكنه تابع يخاطب السيدة براون:

- بعض القهوة والتوست من فضلك، وبيضة مسلوقة. وماذا عن بعض عصير البرتقال؟ أم الفاكهة؟

ابتعدت السيدة براون أما جوانا فالتفتت إليه قائلة:

- لا أرغب في تناول أي فطور.. لا أعتقد أنه يمكنني تناول الطعام بعد تلك الليلة! أشعر بأني مريضة.

- عليك تناول بعض الطعام الذي سيشعرك بأنك أفضل حالاً. تناولي على الأقل فنجاناً من الحليب الساخن وقطعة من البرتقال وهذا سيوقف الألم الذي تشعرين به في معدتك الآن.

كيف عرف ما تشعر به؟ نظرت إليه طويلاً لأنه لم يعجبها أن يُلمَّ

بالأشياء التي تحصل في داخلها فذلك يجعلها عرضة لانتقاده ونصائحه. تابع يقول:

- سترين يا جوانا، سترين أنك ستنامين بعد تلك الوجبة الخفيفة.

دفعها بلطف إلى الحمّام ثم قال:

- اذهبي الآن واغسلي وجهك ويديك وتعالي بعدها لتتناول الطعام.

نظرت إليه باشمئزاز وقالت:

- لِمَ لا تأتي معي لتتأكد أنني سأغسل ما وراء أذنيَّ.

لم تنتظر منه رداً بل دخلت الحمام وفتحت الحنفية منزعجة. رشّت الماء البارد على وجهها فأحست بانتعاش وكأنها أفاقت من جديد. لم ترغب في التبرج بل اكتفت بتسريح شعرها الأشقر الجميل ثم دخلت غرفة الطعام.

كانت الغرفة صغيرة ولكن أشعة الشمس تسللت إليها وألقت نورها على الستائر الفضية الخضراء مما جعل المكان يبدو أجمل وأبهى لكن هذا كله لم يغير ما في نفسها من خوف وإرهاق فقالت متنهدة:

- ظننته سيموت.

التفت غراي إليها وابتسم قليلاً ثم قال:

- أعرف.. لكنه مقاتل.. وهو يحب أن يعيش ورغبته في العيش ستساعده كثيراً. إنه يملك الأسباب التي تدفعه للعيش وعليك أن تكوني مثله.

لم تصغ إليه بانتباه بل راحت تتأمل وجهه الذي سرعان ما أعمل فيه آلة الحلاقة. بدت بشرته ناعمة ودافئة وقد أظهرت الشمس جمال فكّيه وروعة عظام وجنتيه. لم تستطع مقاومة أحاسيسها فقامت فجأة وهي غاضبة ثم قالت:

- عمَّ تتكلم؟

أجابها ببرودة ملحوظة:

ـ هدفه من العيش أن يرى حفيده الأول.

ـ ماذا؟

احمرّت وجنتاها فجأة، فقد نسيت ما جرى من كلام قبل حادثة والدها.. فالخوف قد أنساها كل شيء. والآن ها هو غراي يعاود التكلم عن الموضوع نفسه. وضعت يديها خلف ظهرها وقالت:

ـ كيف خطرت هذه الأفكار على بال والدي؟ من أين أتى بتلك التخيلات المجنونة؟ هل أخبرته بأنك ذهبت لتعيدني إلى المنزل؟ وبأننا سنتزوج بعد كل ما حصل؟

ـ لا يا جوانا فأنا لم أتحدث إلى والدك منذ أن ذهبت للبحث عن دان! لم تكن تلك الفكرة من تأليفي أنا بل هي من خواطر والدك العابرة.

قال كلماته تلك وهو يبدي سروراً من انزعاجها الظاهر.

ـ ولماذا لم تخبره إذاً بأن ذلك غير صحيح؟

ـ ولِمَ لم تفعلي ذلك بنفسك؟

ـ عجزت عن التفوه بأية كلمة.

ـ وأنا أيضاً.

انفجرت غيظاً وحنقاً فصرخت به قائلة:

ـ أنت كاذب!! ظننتها نكتة طريفة، صحيح؟ لكني لا أعرف لماذا!

ـ لو رأيت والدك لعرفت السبب مباشرة.

نظرت إليه باستياء ثم قالت:

ـ حسناً، بسبب طرافتك ومرحك كوّن والدي فكرة خاطئة عنا. والآن، قل لي كيف ستنفي ذلك بحق الله؟

أجابها ببرودة أفقدتها السيطرة على أعصابها: «لن نخبره».

في تلك الأثناء، دخلت السيدة براون إلى الغرفة وأعدت مائدة الفطور وقد لاحظت الغضب المشتعل في عيني جوانا لكنها لم تسأل عن السبب بل اكتفت بالقول:

ـ سأحضر البيض بعد لحظات سيدي.

شكرها غراي على لطفها فخرجت وهي تغلق الباب وبعد ذلك عادت جوانا لمتابعة المناقشة فقالت:

ـ ماذا تعني بأننا لن نخبره؟ بالطبع يجب أن نخبره! فعاجلاً أم آجلاً سيعلم بعدم صحة ما يعتقده.

ـ لن نخبره بشيء وهو ما زال عرضة لنوبة أخرى.

قال ذلك وهو يتخذ لنفسه مقعداً على الطاولة. كان كمن يتكلم عن الطقس أو عن أي موضوع تافه. سكب كوباً من عصير البرتقال لها وآخر لنفسه ولكن جوانا عادت إلى مناقشة الأمر:

ـ علينا أن نخبره.

ـ أتتحملين مسؤولية ما سيحصل له من جرّاء ذلك؟

أمسك غراي بقطعة توست وراح يقضمها ويشرب العصير، أما هي فغرقت في أفكارها. ما كان أشد غباءها حين وافقت على المجيء فهي لم تفكر في الفخ الذي نصبه لها. أسندت ظهرها إلى الكرسي ثم قالت وهي تعض على شفتها:

ـ لكنه سيعلم عاجلاً أم آجلاً با...

قضم قطعة التوست ثم قاطعها قائلاً:

ـ سيحصل هذا لاحقاً.

وأكمل الشرب والأكل وكأن شيئاً لم يحصل. أغضبها سكونه وهناء باله وعدم مبالاته بالأمر، فهو لا يهتم بالنتيجة السلبية التي ستقع على رأسها. تفاقم غضبها فقالت:

ـ إن كنت تعتقد أني سأدّعي حبك، فأنت مجنون!

قامت تهمُّ بمغادرة الغرفة حين دخلت السيدة براون وهي تحمل صينية. نظرت إلى جوانا وقالت:

ـ ها هو البيض، أصبح جاهزاً.

اضطرت جوانا للجلوس من جديد، فالسيدة قد أحضرت لها طبق

البيض وبعد مغادرة السيدة عمّ الصمت أرجاء الغرفة. لم ترفع جوانا نظرها بل أمسكت بالملعقة وقطعت قطعة من البيض دون أن تحسّ بمذاقها وحين انتهت من البيضة الأولى توقفت عن الأكل وسألت:

ـ ماذا ستفعل بشأن المال الذي سحبه دان؟ قلت إنه يجب إعادته إلى الخزينة قبل أن يبدأ المحاسبون بمراجعاتهم.

ـ لقد أعدته.

ـ كيف؟ متى؟

نظرت إليه بغرابة ولكنه راح يسكب لنفسه فنجاناً من القهوة ثم شرع يسكب فنجاناً آخر لها. ولم يلبث أن قال ببرودة وكأنه يعطيها فكرة عن أحوال الجو:

ـ لقد أعدته قبل أن أسافر إلى نيويورك.

اشتدّ غضبها ولمعت عيناها بشرارة الغيظ فسألها مستفسراً:

ـ ثمة خطب ما؟

ـ أعدت المال قبل أن تسافر إلى نيويورك؟

ـ تناولي فطورك قبل أن يبرد.

ـ كذبت علينا إذاً!

ـ لن تكون السيدة براون مسرورة إن لم تأكلي.

ـ لماذا لم تخبر دان بذلك؟ لماذا تظاهرت بأنك في وضع حرج؟

ـ هذه القطعة من التوست أصبحت باردة، سأتناول غيرها.

وقفت غاضبة ثم دفعت الكرسي إلى الطاولة قائلة:

ـ هل ستجيبني أم لا؟ كفّ عن ألاعيبك هذه!

وضع غراي قطعة التوست جانباً وأمسك بفوطة وراح يمسح أصابعه ثم قال:

ـ من الأفضل أن تذهبي للنوم، فأنت متعبة جداً.

صرخت به قائلة: «أجبني الآن».

أسند ظهره إلى الكرسي ورمقها بنظرة حادة ثم قال:

ـ لقد أعدت المال من حسابي الخاص ما إن علمت بالنقص الذي أحدثه أخوك. اضطررت لكتم الأمر لأني لو أخبرت دان بذلك لما تعلم شيئاً من الخطأ الذي اقترفه. على دان أن يواجه الصعاب بقلب شجاع وأن يتحمل مسؤولية ما ترتكبه يداه. أردت أن أخيفه لكي أدفعه إلى التفكير. لماذا نتركه يسحب ستة عشر ألفاً ثم يرحل دون تحمل أية مسؤولية؟!

ـ ولماذا أعدت المال إذاً؟

ـ لأني لم أشأ أن أتسبب لوالدك بفضيحة بين الناس.

ـ ليس لك الحق في تقرير مصيرنا والتلاعب في مسار حياتنا! تُصلح هذا وذلك، تعطي دان الأوامر.. تأتي بي إلى هنا.. من تظن نفسك بحق الله؟

وقف غراي وردّ عليها:

ـ أنت متعبة، اذهبي للنوم.

بدا استياؤها منه واضحاً وقد لمعت عيناها بالحنق:

ـ كفّ عن إصدار الأوامر!

ـ لا تكوني عنيدة يا جوانا.

ـ أكون ما أشاء، وأفعل ما أشاء ولن أرقص على أنغامك.

اقترب منها كثيراً فانزعجت أشدّ الانزعاج. كانت تصرفاته أحياناً تذكرها بوالدها، فهو مثله يلحّ على تحقيق رغباته، ويبدي ثقة كبرى بقدراته.

نظرت إليه بعينين حانقتين وقالت:

ـ أريد أن أسوّي الموضوع الآن. لن تجبرني على التظاهر والادعاء بأننا اتفقنا من جديد لنبقى معاً!

ـ وماذا تقترحين أن نفعل؟ ندخل إلى والدك في المستشفى ونخبره بأن ذلك كان خطأ أو سهواً، فنحن لم نتصالح؟

اشتعلت أفكارها بالنيران والحيرة، فما قاله واقعي وخالٍ من

www.liilas.com

الأخطاء. لن تتمكن من فعل ذلك طبعاً، فهي لا تستطيع المغامرة بحياة والدها. نظرت إليه باحتقار قائلة:

ـ أود لو أقتلك!

لمعت عينا غراي وبدا التهديد واضحاً فيهما. اقترب منها فوضع يده القوية حول خصرها والأخرى وراء ظهرها ثم شدها إليه أكثر فأكثر. قرّبها من جسده ثم رفعها إليه وكأن وزنها لا يعدو أن يكون وزن قشة. قالت:

ـ أنزلني!

لم يأبه لكلامها بل حملها إلى خارج الغرفة بسرعة لئلا تمسك بما تضربه به.

التقى بالسيدة براون في الممر فراحت تحدق إليه وهو يحمل جوانا التي كانت تنتفض غضباً، فقال لها وهو يبتسم:

ـ إني أحملها إلى السرير، فقد أُغمي عليها تقريباً.

توقفت جوانا عن المقاومة حين رأت نظرات السيدة براون الموجهة إليها. حاولت السيدة المساعدة فقالت:

ـ هل أحضر لها شراباً ساخناً؟ هل هناك ما أقوم...

قاطعها غراي شاكراً وهو يصعد إلى السلالم:

ـ شكراً لك، سيدة براون.

ما إن ابتعدت السيدة براون حتى قالت مهددة:

ـ يوماً ما...

تمتم يرد عليها:

ـ نعم، يوماً ما.

ماذا كان يقصد بما قاله. لم يقصد ما قصدته هي بالطبع. حملها إلى غرفة النوم ثم وضعها في الفراش لكنه لم يرحل بل انحنى فوقها واضعاً يديه على كتفيها وكأنه يحاول تثبيتها. كان وجهه يبعد عن وجهها سنتيمترات معدودة فاضطربت كثيراً وقالت وهي تحاول عدم

النظر إليه لئلا يشعر بالخوف الذي تملكها:

ـ اخرج من غرفتي.

ـ ألا تريدين أن أساعدك في خلع ملابسك؟

ـ إن وضعت إصبعاً واحداً...

تلاشى صوتها وتوقفت فجأة حين رأته يبتسم وكأنه يقصد إغاظتها.

ـ ما الأمر يا جوانا؟ لِمَ القلق؟ أيزعجك وجودي في غرفة نومك؟

عندما ثبّت نظره على عنقها حاولت مجتهدة أن تهدىء نبضاتها المتسارعة. لو لم تكن ردة فعلها ظاهرة هكذا لما اكترثت للأمر، لكن جسدها خانها طوال الوقت، لذلك قالت:

ـ ستصاب السيدة براون بصدمة.

ـ أشك في ذلك، فنحن ناضجان. تذكري جيداً أنها كوالدك تظن أن الأمر قد سوّي بيننا.

ـ سأخبرها بالحقيقة.

ـ ليس قبل أن نخبر والدك، فقد تخبره حتى وإن حذّرناها من ذلك. سنشرح لها كل شيء إنما ليس قبل أن يتعافى والدك.

ـ لا، هذا سيتطلب وقتاً طويلاً.

حاولت أن تجلس لكن ذراعيه عادتا فثبتتاها فانفجرت قائلة:

ـ ابتعد عني، أتسمع؟ لن تبقى هكذا للأبد!

كان على مقربة كبيرة منها ولكنها لم ترغب بالنظر إلى وجهه الذي كاد يلمس وجهها. لم تشأ بأن تحس بقوته الحسية وخاصة بعدما قرّب وجهه من وجهها، فنظرة واحدة إليه كانت جديرة بأن تفقدها صوابها.

عادت تتحدث إليه:

ـ يمكن أن تخبر الناس عما سترى.. وحسبما أعتقد.. فإني سأقرأ هذا النبأ في الصحف.

ـ أنت تضخمين الموضوع كثيراً.

انفعلت أكثر وقالت: «ألن تتركني وشأني؟»

حاولت أن تخلص نفسها من بين يديه القويتين ثم تابعت تصرخ:

ـ دعني! ستترك خدوشاً على كتفيّ.

ـ أين؟ فلاّرَ.

دفعته جوانا بكل قوتها وقالت:

ـ اخرج من هنا حالاً!

جلس وراح يسوّي شعره ثم قال:

ـ سأطلب من السيدة براون أن تتركك نائمة وألا توقظك. لا تقلقي على والدك. سأظلّ على اتصال بالمستشفى وإن حصل شيء جديد أوقظك لأطلعك عليه.

ـ ألن تخلد للنوم أنت أيضاً؟

سألته ذلك لأنها كانت تعرف أنه قد أمضى الليل ساهراً، ولكن لم تظهر عليه علامات التعب أو النعاس. نظر إليها قائلاً:

ـ قد أغفو ساعة أو ساعتين ولكن عليّ الذهاب إلى المكتب للإشراف على المراجعات السنوية.

شحب وجهها وقالت:

ـ آه، صحيح، لقد نسيت. هل أنت متأكد من صحة الحسابات الآن؟

ـ كل التأكيد. لن يكون لديهم أدنى شك في الحسابات ما دام المحاسب الخاص قد راجعها كلياً ولن يكون هناك أية مشكلة ما دامت الدفاتر موجودة.

ـ كان باستطاعتك أن تخبرني بهذا ونحن في نيويورك بدل أن تشغل بالي على دان.

ـ وهل كنت سترافقينني لو أطلعتك على ذلك؟

ـ طبعاً لا!

ـ هذا ما ظننته أيضاً.

ـ أنت حقير!

ـ لماذا؟ لقد قصدت إعادتك إلى هنا لعدة أسباب.

قال ذلك وهو يفك ربطة عنقه فراحت جوانا تراقبه بعينين حذرتين.

ـ قلتَ لي إنك تريدني هنا كي أُقنع والدي بضرورة عرض دان على طبيب نفساني.. ما هو السبب الأساسي؟

إنما لماذا بدأ يفك أزرار قميصه الآن؟ تساءلت بحيرة لكنها لم تسأله لأنه لو حاول أن يمسها بإصبع واحدة لأخذت تصرخ بأعلى صوتها حتى يتوافد أهالي المنطقة كلهم ليروا ما يحصل. تابع غراي يجيبها:

ـ صحيح، كان هذا أحد الأسباب.

ثم أكمل فكّ أزرار القميص فانفجرت غاضبة وقالت وهي مستعدة للهرب من الغرفة:

ـ ماذا تحسب نفسك فاعلاً؟

وقف ناظراً إليها ثم قال:

ـ سأستحم قليلاً. ماذا خطر ببالك أني فاعل؟

صرخت بأعلى صوتها وهي ترميه بوسادة كانت على فراشها:

ـ هيا، اخرج الآن!

خرج غراي وهو يحملق إليها ولكنها لم تشعر بالراحة لذا تاقت إلى اللحاق به لتقفل الباب وراءه.

خلعت ثيابها وهي تتأرجح بين الغضب والحنق. كانت تعلم أنه كان ينوي افتعال شيء ما، فقد كذب عليها وعلى أخيها لينصب لهما فخاً مشتركاً. لقد أحست بأنها غبية إذ علقت بالطعم الذي رماه لها واستدرجها إلى أن عادت إلى مانشستر، مع أنها حاولت منذ أن رأته في نيويورك أن تبقي عينيها مفتوحتين لئلا تقع ضحية الأعيبه وأكاذيبه كما حدث من قبل.

لكن ماذا يخبىء لها هذه المرة؟ فكرت قليلاً ثم قالت في نفسها «لا، آه لا يمكن. أيعقل أنه ما زال يفكر في الزواج بها؟ أمعقول هذا؟ ألم تعطه رأيها به منذ سنتين؟ لا بد أنه مصنوع من الفولاذ حتى تمكن من نسيان ما قالته في ذلك الوقت، من إهانات وتوبيخ وازدراء، كيف يفكر بالرجوع إليها بعد هذا كله؟».

فتحت خزانتها وتناولت قميص نوم قطن أبيض اللون وكانت على وشك ارتدائه حين نظرت إلى المرآة فجأة فوجدت نفسها شاحبة اللون. أغمضت عينيها وأحست بالمرارة، فقد أقلقها الإحساس الذي انتابها حين اقترب منها غراي وهي فوق الفراش. ومن المؤكد أنه أحسَّ بما حصل لها وهي بين يديه. لقد كرهته واحتقرته لكنه ما زال يجري في دمها. ظنَّت أنها شفيت من حبه في السنتين اللتين أمضتهما في نيويورك، لكن لا، فهي لم تشفَ منه بعد، وكل ما هنالك أنها كانت تكذب على نفسها وتغشُّ قلبها. ذلك أنها كانت تنتظر أول فرصة سانحة وها قد عاودتها تلك الرغبة وذاك الشعور الذي لازمها منذ اللحظة الأولى التي رأته فيها في نيويورك. غير أنها لم تستطع إخفاء شعورها تجاهه الآن ولا بد أنه أدرك ذلك، ولهذا السبب ما زال يفكر في الزواج بها فسترث هي وأخوها الشركة بعد موت والدها.

أحست بالمرارة والأسى اللذين أحست بهما منذ سنتين حين اكتشفت غراي على حقيقته. كانت على وشك الارتباط الرسمي به حين التقت بفتاة في إحدى الحفلات الخاصة بأصدقاء غراي. يومذاك كانت جوانا قد ذهبت إلى الحفلة بمفردها على أن يلحق بها غراي فور انتهائه من حلّ مشكلة الإضراب العالق في أحد المصانع.

كان صاحب الحفلة يُدعى إيريك بارنز وزوجته تدعى روث وهما يقيمان في منزل كبير. حين تعرفت إليهما جوانا احتفلا بها وراحا يعرّفانها إلى بقية الأصحاب. وقد حدث أثناء تجوالها بين المدعوين أن لفت انتباهها امرأة كانت تتخذ لنفسها مكاناً بعيداً منعزلاً وتصب نظرها

على جوانا طيلة الوقت. وما لفت انتباهها هو جمال تلك المرأة، فهي طويلة القامة ممشوقة القد وجميلة وقد زاد من جمالها ذلك الثوب الشفاف الخمري اللون الذي كانت ترتديه تلك الليلة والذي انسجم مع شعرها الحريري المتدلي فوق كتفيها وعينيها السوداوين اللامعتي البريق. كانت تجذب الأنظار إليها مع أنها لم تُعِر أي اهتمام لأي واحد من الذين كانوا يحاولون التحدث إليها. جلست جوانا قرب النافذة بعدما أحست بالتعب من السير بين الضيوف، وما هي إلا لحظات حتى اقتربت تلك السيدة منها وقالت:

ـ أنت جوانا لستر، أليس كذلك؟

ابتسمت جوانا ثم قالت:

ـ نعم. وكيف عرفت؟

ـ لقد رأيت صورتك وبالمناسبة أنا كارلا هايز.

أدركت عندها جوانا لماذا أحست بأن وجهها مألوف فكارلا هايز عارضة أزياء مشهورة. مدّت يدها وهي تقول:

ـ كان علي أن أعرفك مباشرة فأنت مشهورة وقد رأيتك مراراً. لكنك قلت إنك رأيت صورتي، أين؟ فأنا لست من المشاهير.

ترددت كارلا في مصافحتها ثم قالت:

ـ لقد رأيتها مع غراي.

تجمد الدم في عروق جوانا وكأن أحداً قد صبَّ عليها ماءاً بارداً. حاولت أن تبقى ساكنة وحاولت التبسم ثم قالت:

ـ غراي؟ أنت إحدى صديقاته؟

قهقهت كارلا بصوت عالٍ وقالت:

ـ صديقته؟ لا، طبعاً ما كنت لأسمي نفسي كذلك.

رفعت يدها اليمنى وحدقت إليها جوانا بدهشة فقد كانت كارلا تضع في إصبعها خاتماً ذا ألماسة كبيرة محاطة بألماسات صغيرة، وكان له بريق أخّاذ. تابعت كارلا تقول:

- قدّمه لي غراي.

حوّلت جوانا نظرها عن الخاتم إلى وجه كارلا فرأت الكراهية تشعّ فيه رغم الابتسامة التي كانت ترسمها. وتابعت تقول:

- فكرت أنّ أعيده بعدما فسخ خطوبتنا لكني كنت غاضبة منه فلم أفعل.

اضطربت جوانا مما سمعته وقالت:

- كنت مخطوبة إلى غراي؟

- بقيت خطيبته ستة أشهر قبل أن يتعرف إليك.. كان من المفترض أن نتزوج الاسبوع الماضي وقد اشتريت ثوب الزفاف لكنه سرعان ما تخلى عني حين تعرّف إليك لأني ما عدت أكفيه. أرسل لي هذه الورقة في اليوم التالي على لقائه بك.

لم تشأ جوانا أن تأخذ الورقة لكن كارلا وضعتها في يدها وهي تقول:

- اقرئيها! هيا، اقرئي. يجب أن تعرفي حقيقة غراي هذا، فلا شك أنه استغفلك كما استغفلني من قبلك!

ارتجفت أصابع يدها وهي تحمل الورقة وشحب لون وجهها، لكنها فتحت الورقة وإذا بها مقطعة من دفاتر فواتير الشركة وقد تعرفت إلى خط يده. كانت رسالة قصيرة، والتاريخ واضح فهو اليوم التالي على لقائه بها وكيف لها أن تنسى أجمل تاريخ في حياتها، وتحت ذلك التاريخ قرأت الكلمات التالية: «كارلا، لن نتزوج كما كان متفق بيننا. انتهى كل شيء. لا أريد أن أراك مجدداً فلا تحاولي إزعاجي لأنه لن ينفع، فسأتزوج امرأة ثانية.»

وقفت هناك تحدق إلى اسمه المدوّن على الورقة فأسرعت كارلا واختطفت الورقة منها وقالت لها وهي تنظر إلى وجهها الشاحب:

- أنت تملكين ما لم أستطع إعطاءه إياه: المال والمركز والمستقبل. وللأسف لم أملك أياً منها. فأنا لم أكسب تلك الأشياء من

عرض الأزياء، فوظيفتي لا تدرّ عليّ مالاً وفيراً وغراي طموح جداً. لا يمكنه أن ينتظر ريثما أبلغ الذروة، فهو في عجلة من أمره دائماً ولطالما أراد أن يصل إلى القمة بسرعة وها أنت توفرين له السلم السهل. لو كنت أملك تلك الأموال لبقي معي. أنا متأكدة من ذلك. فقد كنا نشكل ثنائياً رائعاً، ولهذا لن تنجحي في استمالته رغم أموالك الطائلة.

ثم تطلعت إلى جوانا من رأسها إلى أخمص قدميها وتابعت:

- أشعر بالأسى عليك، آنسة لستر. إن كنت تحبينه فستعيشين معه حياة بائسة لأنه يمكنك شراؤه لكن لا يمكنك امتلاكه. لو كنت مكانك لفكرت في الأمر ملياً.

قهقهت عالياً ثم خرجت تاركة جوانا لتغرق في أفكار سوداء مظلمة. ساعدت نفسها على الوقوف وأظهرت ابتسامة مصطنعة نحو مضيفيها واعتذرت عن البقاء بحجة أنها أصيبت بصداع أليم اضطرها للمغادرة قبل وصول غراي. عرضت عليها روث المساعدة لكنها أصرت على الذهاب بمفردها.

تساءلت جوانا ما إذا كانت روث قد رأتها وهي تتحدث إلى كارلا ومما لا شك فيه أن جميع الأصدقاء في الحفلة كانوا يعلمون أن غراي كان خطيب كارلا السابق وهذا يعني أنهم تهامسوا وتساءلوا كم ستدوم علاقته الجديدة بجوانا.

اصطنعت ابتسامة ناعمة وشكرت جميع الأصدقاء على تلك الحفلة ثم استقلت سيارة وغادرت الحفلة وهي تسمع قهقهات الأصحاب تتعالى مع الموسيقى الصاخبة.

في اليوم التالي ابتعدت عن المنزل مدة يومين لعلها تجد فيهما متسعاً من الوقت للتفكير في الموضوع بشكل أفضل. وبعد التفكير قررت أنها لن تتزوج بغراي بعدما كشفته على حقيقته. ولكن ما شغل بالها هو كيف تخبره برفضها له. كيف؟ يمكنها أن تخبره أنها رأت كارلا وقرأت الورقة وعرفت القصة كلها.. لكن ذلك سيحرج شعورها

فسيعرف حتماً أنها وضعت نفسها في موقف حرج أمام كارلا، وعندها سينفي ذلك ويعتذر منها ثم يلفها كالخاتم في إصبعه. إذاً ماذا ستقول له إن هي رفضت الزواج به؟ ما هو دافعها للرفض؟ وكيف ستشرح لوالدها بأنها فسخت خطوبتها مع غراي؟

بعد يومين من التفكير والبكاء عادت إلى المنزل دون أن تجد حلاً مناسباً. دخلت المنزل فوجدت والدها وغراي الذي سألها أين كانت ومع من؟ والغضب يشتعل في داخله وفي داخل والدها.

رفضت جوانا البوح بشيء فلم تذكر لا المكان أو الرفيق فكان أن استسلم والدها لغراي قائلاً:

- كلمها أنت غراي فلعلك تفهم منها شيئاً.

طلب غراي تفسيراً فرفضت إعطاءه أية معلومات، وعوضاً عن التحدث إليه خلعت خاتمها من إصبعها ورمته في وجهه، ثم راحت تخبره رأيها فيه وتوجه له الإهانات. لم تكن تعلم أنها ستتمكن من فعل كل ذلك لكنها استطاعت فقد كان غضبها متفاقماً إلى حد بعيد.

اصفرّ وجه غراي وهو يسمع أقوالها ثم تحول الاصفرار إلى غضب قاتم فحدق إليها وكأنه لا يصدق ما يسمعه. لم تعطه فرصة ليقاطعها أو حتى ليسأل أو يحتج. وبعد أن أفرغت ما في جعبتها من إهانات واحتقار أدارت وجهها وخرجت وهي تغلق الباب بوجهه. طبعاً لم يكن ذلك نهاية الأمر لأن أحداً لم يظن أنها تعني ما تقوله. فقد اعتقد حتى غراي ووالدها أنها ثورة عابرة وستنتهي حالاً. حاول والدها مراراً أن يتفهم أسبابها لكنها لم تقل شيئاً.

بقيت صامتة طوال الوقت فهي عنيدة وصلبة. راحت توضب أغراضها وحاجياتها دون أن تقول لأحد ما كانت تنوي أن تفعل وهكذا انتقلت إلى نيويورك دون أن تعلم والدها أو خطيبها. وهناك التحقت بمعهد التعليم العالي فكان أن نالت درجة لا بأس بها في التعليم. كانت تعلم أنها لن تستطيع البقاء في مانشستر لأنها ستلتقي هناك بغراي حتماً

فكان أن فضّلت وضع حاجز بينها وبينه حتى تنساه. ولقد كانت غبية حقاً حين ظنت أنها تغلبت على حبها له أو استطاعت نسيانه، فهو لا يزال حياً في دمها وقلبها.

وها هي الآن قد أدركت أنها لم تنسه قط. لقد ظهر أمامها فجأة ولم تعد تحس بالأمان. إن علم غراي بأنها لا تزال على حبه باقية كانت معرفته خطراً كبيراً عليها لأنه هذه المرة إن قرر الزواج بها فلن ترى نفسها إلا مجبرة على القبول به تحت تأثيره الشديد عليها

* * *

www.liilas.com Ami

٥ ـ لماذا؟

لم تستيقظ جوانا من نومها إلا في منتصف النهار وعندما استيقظت استحمّت بالماء البارد ثم ارتدت سروالاً أبيض وبلوزة زرقاء وعمدت إلى التبرج قليلاً ونزلت إلى القاعة السفلى وفي الحديقة وجدت دان يتجول تائه الأفكار قلقاً.

التفت إليها قائلاً: «هاي، صباح الخير. هل نمت جيداً؟»

ـ نعم، ولكن أين كنت في الصباح؟

ـ في نزهة قريبة، كنت أحتاج إلى بعض التفكير، فليس الأمر بالسهل مع غراي روسمور.

ـ لا، كل ما هنالك إني قلقت عليك.

ـ آسف يا أختي.

ـ هل رأيت غراي قبل أن تخرج؟

ـ نعم، وتحدثنا معاً لبعض الوقت.

ـ هل أخبرك شيئاً عن المال؟

ـ نعم، قال إنه لن يخبر والدي بالأمر شرط أن أبقى هنا ولا أفرّ مجدداً.

نظر إليها دان بعطف والتوسل بادٍ في عينيه ثم تابع:

ـ جوانا، لا يمكنني العودة إلى المكتب فأنا لا أطيقه. ماذا أفعل، أرشديني؟

ـ وهل أخبرت غراي بشعورك تجاه وظيفتك؟

لم تنتظر منه جواباً فقد عرفت سابقاً أنه لن يستطيع التحدث إلى غراي بصراحة أكثر مما فعل مع والده.

ـ وما النفع من ذلك؟ فأنا غير مؤهل لعمل آخر. كان يجدر بي أن أفعل ما فعلته أنتِ.. أذهب إلى الخارج وأتعلم مهنة ما.

وضع ذراعه على كتفها ثم نظر إليها قائلاً:

ـ إني أقدرك وأحترمك لهذا السبب يا جوانا. الرحيل والدراسة ومن ثمَّ استلام وظيفة تحبينها.. أقدّرك لأجل ذلك. كم أتمنى أن أكون مثلك لكني لا أستطيع مواجهة أبي ومعارضته.

ـ والدنا ليس هنا الآن.

تطلع إليها مذهولاً ثم قال:

ـ أعرف، لكنه سيعود إلى المنزل قريباً جداً. أعني لم تكن النوبة حادة! أليس كذلك؟ أخبرني غراي أنه سيغادر المستشفى في غضون عشرة أيام أو ما شابه مع أنه يحتاج للمداراة والعناية.

لفتت نظره جوانا إلى المدة وهي تقول:

ـ عشرة أيام كافية لتفعل أشياء كثيرة خلالها كأن ترى أخصّائياً يساعدك على التخلص من عادة المقامرة.

أحست بأن كلامها أثّر في دان كثيراً فتأبطت ذراعه وتابعت تقول:

ـ يمكنك أن تستعلم عن فن النحت والحفر على الخشب حتى تتقن هذه الحرفة.

قهقه بصوت عال ثم قال:

ـ أنت تمزحين، لا؟ لقد أصبحت كبيراً على أن أتخذ لنفسي حرفة أتعلمها بالممارسة.

ـ وكيف عرفت؟ هل سألت عن ذلك ولو مرة؟ تستطيع أن تلتحق بمعهد للحرف أو كلية.. أليس هناك معاهد تستقبل الأشخاص الناضجين؟ دان، لن تصل إلى أي هدف ما دمت جالساً في مكانك حالماً. يجب أن تتحرك لتحقق حلم حياتك. حسناً، إن وجدت ذلك

صعباً فلا خسارة في مجرد المحاولة. لكن مهما فعلت يجب أن تُقلع عن المقامرة، فهي ستدمرك كلياً. إنها مرض مدمن كالكحول.. لا أقول إنها غلطتك، لكني أقول إن من واجبك الإقلاع عنها حالاً وذلك بعرض نفسك على طبيب نفسي.

أذهله كلامها فالتفت إليها قائلاً:

- ماذا تقولين؟ إنني مجنون؟ لا، لست مجنوناً، كل ما هنالك أني أحاول الهرب من واقعي باللعب والمقامرة.

- تعرف يا دان أن الأمر ليس كذلك.

كان وقع كلامها شديداً عليه فاحتدّ غضبه.

- آه، لماذا لا تهتمين بشؤونك الخاصة؟ فأنت لا تعرفين شيئاً عني.

اندفع باتجاه المنزل بينما جوانا تحدق إليه متنهدة. لم تُحسن معالجة الأمر معه، فليس من السهل التكلم مع دان بشأن العلاج، وها قد فشلت في محاولتها الأولى.

همّت باللحاق به لكنها وجدت نفسها أمام غراي الذي كان يقف أمام مدخل البيت من جهة الحديقة. نظر إليها وقال:

- سألت السيدة براون فقالت إنك في الحديقة. لقد عدت لتوي من المستشفى... وضع والدك ثابت ومستقر الآن. والجميع مسرور للتحسن الذي أبداه.

أجابته باختصار:

- أعرف هذا، فقد اتصلت بالمستشفى حالما نهضت.

كان غراي يرتدي بذلة رمادية وقميصاً أبيض مقلماً وبدا واضحاً أن ثيابه تلك باهظة الثمن كسائر ثيابه وقد أثار ذلك فضولها فتساءلت عن مصدر تلك الأموال التي ينفقها على شراء ملابس فخمة كهذه. لكنها أدركت أنها تعرف عنه أشياء قليلة فقط، فهي لا تعلم ما كان يفعله قبل التحاقه بالشركة مثلاً. إنه إنسان متحفظ ولم يكن يرغب في التكلم عن

ماضيه لأسباب مهمة بلا ريب.

استمع إليها قليلاً ثم قال:

- يعتقد الأطباء أنه من الأفضل ألا يزوره أحد.

- أعرف فقد أخبروني بذلك.

رمقها بنظرة حادة ثم سأل:

- وما الأمر الآن؟

لم تشأ أن تروي فضوله فاختصرت قائلة:

- ليس عندي ما أقوله، هذا كل شيء.

همّت بالخروج لكنه سدَّ عليها طريقها قائلاً بلهجة جافة:

- هناك أمر واحد عليك إطلاعي عليه.

- ما هو؟

- لماذا غيّرت رأيك بي فجأة منذ سنتين؟

بدا هادئاً رغم فضوله الذي كان يحركه باستمرار، فكل ما يريده هو معرفة السبب الذي تركته من أجله. ربما يريد أن يتعلم من خطئه لئلا يفعل ذلك في الصيدة المقبلة. ألم يحسّ بالأذى؟ طبعاً لا، فهو لم يكن يحبها بإخلاص بل كان يجد فيها صيداً وفيراً يؤمن له مستقبلاً زاهراً. إنه رجل ماهر وحاذق، يتعلم من أخطائه فهو نقيض دان بل نقيضها هي. فهي ودان غبيان، على ما يبدو، لأنهما لا يستطيعان التخلص من حماقاتهما بسهولة كما لا يمكنهما تخطيط نمط جديد لحياتهما. إنهما أسيرا قلبيهما وهذا واضح بالنسبة لها فللأسف لم تستطع التخلص من حب غراي روسمور هذا.

لم ترد جوانا أن تخبره السبب فقالت:

- أدركت أني كنت غبية وأحببت أن أوضح الأمر في حينه.

حاولت أن تبعد نظرها عنه لئلا تستسلم له أحاسيسها فتصبح فريسته من جديد.

- آه، كنت واضحة جداً.

ثم حاولت الخروج لكنه لم يتركها ترحل بهذه السهولة إذ أمسك ذراعها بقبضة يده فرمقتها بنظرة وكأنها حشرة حطت عليها...

قالت غاضبة: «أبعد هذه اليد عني!»

ثم راحت تبعد قبضته بيدها الثانية وهي تتظاهر بالهدوء. لم تشأ أن يشعر بما يختلج في داخلها من أحاسيس ومشاعر متقدة. يجب ألا يفهم من تعابير وجهها شيئاً. إنه قادر على الادعاء بأنه ما زال يحبها ولكن أتستطيع الاستمرار في كبت حقيقة مشاعرها تجاهه؟

لم يتركها ترحل بل ظل قابضاً على ذراعها:

- لم أشأ أن أسألك عن السبب في حينها. ولكن بعد فترة أدركت أني حقاً لا أعرف لماذا انقلبت ضدي فجأة، ما الذي فعلته لكي تتخلي عني وترحلي؟

صرّت على أسنانها وببرودة قاتلة قالت:

- أعتقد أنك كنت على حالك، لكني تأخرت في اكتشاف أي نوع من الرجال أنت.

هزّ رأسه غير مقتنع ثم قال:

- لا، ثمة خطب ما، شيء ما دفعك لهذا التحول. ما هو؟

شدّ بقبضته على ذراعها فآلمها وراحت تحاول الإفلات منه مجدداً.

في النهاية استطاعت الإفلات منه لكنها أخطأت حين اتجهت نحو الحديقة عوضاً عن المنزل. فها هو غراي يتجه إليها ويزيد من توتر أعصابها.

قال وهو يقترب منها:

- فكّرت في الأمر أسابيع استرجعت فيها كل ما حصل بيننا قبل أن ترحلي.. فتشت عن السبب لكني لم أجده. كل واحد منّا معرّض للخطأ لكني أتمنى أن أعرف ما الخطأ الذي ارتكبته. كان كل شيء بيننا على خير ما يرام وفجأة عُدتِ منقلبة المزاج من حفلة إيريك بارنز.

شحب وجه جوانا. لم يكن عليها إعطاؤه رؤوس أقلام، فها هو الآن يدقق بأدق التفاصيل وقد يتوصل إلى معرفة السبب بعناده وحذاقته.

تابع يقول:

- لم أرافقك إلى الحفلة وذلك بسبب إضراب قام في أحد المصانع.. لكني أذكر أني اتصلت بمنزل إيريك الذي أخبرني بأنك خرجت لتوّك من الحفلة، بل مازحني بشأنك وحذّرني من أن أخسرك إن لم أعرْك اهتماماً أكبر. طبعاً كان يمزح، لكن حين فكرت في ما حصل بعد ذلك وجدت أنه ربما أصاب الوتر الحسّاس.

اضطربت أعصابها ولكنها سرعان ما أحست بالراحة لأنه لم يتوصل لمعرفة الحقيقة بل لم يذكر اسم كارلا هايز على لسانه. ربما لم يخبره إيريك بلقائها بها في الحفلة أو ربما لم يرها تتحدث إليها. على أية حال، لماذا كانت كارلا هايز مدعوة إلى الحفلة؟ من المؤكد أن آل بارنز يعرفون بأمر خطوبتها إلى غراي سابقاً، فلماذا دعوها إلى الحفلة إذن ما داموا يعرفون أن غراي قادم مع خطيبته الجديدة؟

أردف غراي سائلاً:

- أهذا هو السبب يا جوانا؟ ألأنني لم أعتنِ بك كما يجب؟ أكنت تعتقدين بأني أهتم بأمور الشركة أكثر مما أهتم بكِ؟

ارتدت خطوة إلى الوراء وقد أربكتها نبرة صوته والأفكار التي راحت تتصادم في مخيلتها. هل كان لعائلة بارنز ضلع في ما حدث تلك الليلة؟ هل رتّبوا هذا اللقاء بينها وبين كارلا؟ ولكن لماذا يفعلون ذلك؟

عادت إلى أرض الواقع وقالت ببرودة:

- لم أعتقد.. بل كنت أعرف أنك تريد الزواج بي لتصبح صهر والدي، إنما هذا ليس سبب رحيلي، رحلت لأسبابي الخاصة فقد أدركت فجأة أني لن أتحمل أن أكون زوجتك.

قال مستغرباً: «هكذا ببساطة؟».

ارتبكت قليلاً ثم أجابت:

ـ فكّرت في الزواج بك لإرضاء والدي والانصياع لرغبته وفجأة ثبت إلى رشدي وأدركت أني لن أتركه يقرر مصيري كما يحلو له. كنت أعرف أنك ترغب في الزواج بي من أجل مصالحك في العمل، فأنت طموح للغاية وبارد الإحساس مما يدفعك إلى القبول بشيء كهذا... أما أنا فلا، فضلت الابتعاد حين عرفت حقيقة الأمر.

تنفس بسرعة وقطب حاجبيه غاضباً ثم أمسك بها من كتفيها وقرّبها منه رغم مقاومتها للتخلص منه:

ـ بارد الإحساس؟ تعتقدين ذلك جوانا؟ ربما حان الوقت لتعرفي مدى عمق خطأك.

صرخت به والخوف يملأ قلبها: «لا».

ربما أفقدها صوابها. كان يعرف أنها كذبت في ما قالته لتوّها. يجب ألا تدعه يعانقها. ركلته بقوة فأحسّ بالألم واضطرّ إلى تركها وهذه المرة اتجهت خطواتها نحو المنزل بدلاً من الحديقة لئلا يستفرد بها هناك. لحق بها غراي لكنها دخلت المنزل ثم أغلقت الباب في وجهه وتوجهت إلى غرفة الجلوس فوجدت دان الذي حدّق إليها باستغراب وقال:

ـ هل من حريق؟

بعد لحظات دخل غراي إلى الغرفة وحدّق إليه دان وهو يشتعل غيظاً. التفت غراي إليه ثم قال له:

ـ دان، أريد التحدث إلى أختك على انفراد.

انفجر دان قائلاً:

ـ لن يكون لك ذلك. دعها وشأنها! كم مرة يجب أن أقول لك ذلك؟ أتفضل أن أكتب هذه العبارة على ورقة؟

تفاقم غضب غراي فقال:

ـ لا تخاطبني بهذه النبرة، أتفهم؟ فليس للموضوع علاقة بك.

ردَّ عليه دان غير آبهٍ بخشونة صوته وتهديد نبراته:

ـ لن أسمح لك ما دمت موجوداً أن تجبرها على فعل ما لا تريده. نحن لا نخافك إطلاقاً. علاقتك تقتصر على والدي ولا شأن لك بنا.

تأبطت جوانا ذراع أخيها الذي راح يشدّ عليها ثم قال لها:

ـ حسناً، يا عزيزتي، لا خوف بعد الآن. سأتولى أمره بنفسي.

أحست جوانا بالأمان مع أنها كانت تعرف أنها المرة الأولى التي يقف فيها دان في وجه غراي. فهو لم يتجرأ على فعل ذلك من قبل. إنها فرصته الأولى لإثبات شخصيته وقد بدا مسروراً بما فعله.

راح غراي يراقبهما بصمت ثم لم تمضِ لحظات حتى خرج من الغرفة تاركاً دان خلفه يلوح بيده التي كانت تَشدُّ على يد أخته. ضحك دان ثم قال:

ـ هاي، لقد تراجع. ما رأيك؟

ـ شكراً لك.

ـ إن حدثت بينك وبينه أية مشكلة أخبريني فوراً.

قال ذلك بفخر واعتزاز وهو يحسّ بالنصر ثم أضاف:

ـ سأعلمه كيف يدفع النساء.. ومن الآن فصاعداً سأعرف كيف أتعامل معه إن حاول مسّك مجدداً!

ـ سأبتعد عن طريقه.

ـ لن يكون ذلك سهلاً، فقد يمكث في المنزل أثناء وجود والدي في المستشفى.

ـ ماذا؟

ـ لقد فعل ذلك عندما أصيب والدي بأزمة حادة كهذه في المرة الماضية وقد أخبرني أنه سيبقى هنا ليكون قريباً من المستشفى في حال حصول طارىء. فالطريق من مانشستر بعيدة جداً.

تجهّم وجهها وقالت:

ـ هل استأذنك في المجيء إلى هنا؟

ـ أتعتقدين أنه فعل؟ طبعاً لا. انتقل إلى هنا من تلقاء نفسه وأنا متأكد أن والدي سيوافق، فلا جدوى من مجادلته وهو على أية حال يقضي معظم أيام العطلة عندنا، يجلس هو ووالدي في المكتب فيتحدثان عن شؤون العمل. إنه يعتبر منزلنا بيته الثاني.

ـ أو فندقاً ربما.

ردت عليه جوانا وهي تشتعل غيظاً، كيف ستنام تحت سقف واحد معه؟ تابعت تسأله:

ـ وماذا عن المكتب؟ هل سيتصل به من هنا يومياً؟

ـ ولماذا يخبرني؟ في المرة الماضية مكث في المنزل يومين متواصلين حتى زال الخطر عن والدي، وقد أمضى معظم وقته على الهاتف يدير أعمال الشركة من هنا.

ـ ويتركه والدي يتصرف كما يحلو له؟

ـ تعرفين أن غراي بمثابة الابن الذي طالما رغب فيه والدي.

أحست بالمرارة في كلامه فتعاطفت معه:

ـ دان، والدي يحبك، أنا متأكدة من ذلك.. فأنتما متشابهان في عدة أمور.

أضحكت الفكرة دان فقال:

ـ أتمزحين؟ أنا لا أشبه والدي.

ـ أنت لا تدرك ذلك لأنك لا ترى نفسك، أنتما متشابهان في عدة أمور ولهذا يرغب والدي في توجيه الانتقادات اللاذعة لك لأنه عانى منها هو نفسه. إنه يلحّ عليك لتغيير نفسك وطريقة حياتك.

بدا دان دهشاً:

ـ أنت مجنونة لتفكري هكذا.

قال ذلك وهو يعرف أن كلامها صحيح لكنه فضّل عدم الاعتراف بذلك.

نظر إليها نظرة خاطفة ثم ابتسم بخجل قائلاً:

ـ لقد أعدت التفكير في ما قلته عن تلقي دروس في مهنة الحفر على الخشب. أنت على حق. يجب أن أسأل عن ذلك.

لم تشأ جوانا أن تظهر حماسها للقرار الذي اتخذه بل اكتفت بابتسامة صغيرة وقالت:

ـ عظيم جداً.

ما دام قد وضع الفكرة في رأسه فسيبدأ بالتنفيذ حالاً. إن دان لا يحتاج إلا للاعتماد على النفس وذلك للبدء بخطة جديدة لحياته بعيداً عن أوامر والده أو أوامر غراي.

عاد دان ليقول:

ـ أنا لن أتعالج عند أي طبيب.

لم تجادله في ذلك، فقد أرادت أن تفكر في طريقة لإقناعه فهو ضعيف وعنيد بعض الشيء. تساءلت عما إذا كان هذا سبب إطاعته وخوفه من والده، فدان يريد لحياته نمطاً مختلفاً فهو يهوى الحِرف وقد أحب أن يصبح ماهراً في حفر الخشب على أنواعه، ومن المؤكد أنه لجأ إلى القمار لأنه لم يجد من يصغي إلى مشكلته أو يملأ الفراغ المميت في حياته. فوالده المنشغل بأعماله لم يحاول التحدث إليه أو الأخذ برأيه بل راح يلقي الأوامر متوقعاً من ابنه تنفيذها ولو رغماً عنه، أما دان فلم يحاول التحرر أو القيام بشيء ما مثلها لتأسيس نفسه بنفسه. لكن، لماذا؟ هل كان يحب والده أكثر مما أحبته هي؟ ألهذا لم يفكر في الرحيل عنه؟

نظرت إليه طويلاً ثم قالت:

ـ أنا جائعة. هل أكلت شيئاً؟ وبالمناسبة، هل نمت جيداً؟

ـ نعم نمت ساعتين، فأنا لا أستطيع النوم نهاراً. تناولت سندويشاً وفنجاناً من القهوة حين استيقظت ولن أمانع إن عرضت عليّ فنجاناً آخر.

ـ تعال إلى المطبخ لنرى ما نأكله. أعرف أن السيدة براون لن تمانع

إن حللت مكانها بعض الوقت، فقد علمتني الطهو صغيرة أتذكر ذلك؟

ـ أذكر الكيك الصلب الذي صُنعته مرة.

ـ أنت تكذب، فقد كان رائعاً!

ضحك:

ـ معك حق. والآن، لِمَ لا نتناول بعض التوست والفول.

كان المطبخ فارغاً، فتسلقت جوانا إلى أعلى الخزانة وفتشت عن علبة من الفول المطبوخ ثم ناولتها إلى دان الذي فتحها وصبها في وعاء صغير. جلسا معاً يأكلان فشعرا بالراحة كما لو أن الزمن قد عاد بهما إلى الوراء. هكذا كانا يجلسان صغيرين، ولكن بعدما شبّا فرّقت الأيام بينهما وأبعدتهما عن بعضهما بعضاً حتى أصبح كل منهما يخفي أسراره عن الآخر.

تناولا الطعام بشهية وما إن انتهيا حتى دخلت السيدة براون وهي تحمل سلة ملأى بالفاكهة كانت قد قطفتها من البستان خلف المنزل. نظرت إليهما بدهشة فقالت لها جوانا وهي تشعر بضرورة الاعتذار لها:

ـ لقد تناولنا بعض الفول مع التوست، فقد شعرنا بالجوع فجأة.

أجابتها السيدة براون:

ـ لو كنت أعرف أنكما جائعان لحضّرت لكما وجبة شهية. ما عليك إلا أن تطلبي مني ذلك.

تمتم دان وهو ينظر إليها:

ـ لقد وجدنا متعة في تحضيرها بأنفسنا.

وضّبت المائدة وأزاحت الصحون وهي تقول:

ـ حسناً، أترغبان في شيء آخر؟

هزّ دان وجوانا رأسيهما ثم نهضا عن الطاولة وقد شعرا أنها تريدهما خارج المطبخ.

نظرت جوانا إلى سلة الفاكهة فلاحظت السيدة براون ذلك وقالت:

ـ سأحضّر لكما فطيرة بالفاكهة للعشاء.

عرضت جوانا مساعدتها:

ـ أتحبين أن أساعدك قليلاً؟

ـ لا، شكراً لك. سأعدها بنفسي. إنها وظيفتي.

اعتادت السيدة براون على القيام بوظيفتها على أتمّ وجه دون مساعدة أحد، ولم تكن تحب أن يشاركها أحد في عمل المطبخ مع أنها كانت تسمح لجوانا بذلك في بعض الأحيان. لكن جوانا تعلمت الطهو والقيام بجميع أعمال المنزل حين انتقلت إلى نيويورك لتعيش بمفردها.

دخلت إلى الصالة فوجدت دان ينظر إلى ساعته ثم سألها:

ـ متى تقفل المكتبة؟ أود لو أذهب لأطالع بعض الكتب التي تعلّم المهن فربما أجد شيئاً عن هوايتي.

قال ذلك بثقة وجدية فسرّت جوانا للفكرة:

ـ فكرة رائعة! إن لم تجد شيئاً في المكتبة فهناك الدليل الخاص بالمهن. يمكنك قراءته متى شئت وهو يشرح لك تفاصيل عديدة عن المهن المتوفرة وكيفية تعلمها والأوقات المحددة لذلك. أعتقد أن الدروس تبدأ عامة في منتصف أيلول.

هزّ دان رأسه قبل أن يتجه إلى سيارته، أما جوانا فخرجت إلى الجوار وراحت تتفقد المكان: كان كل شيء ما يزال على حاله، فوالدها لم يغيّر في المنزل شيئاً. أحسّت وكأنها لم تسافر إلى نيويورك التي بدت بعيدة عنها جداً. ها هي الآن هنا حيث وجدت كل شيء كما تركته منذ سنتين.

دخلت السيدة براون إلى غرفة الجلوس فوجدت جوانا هناك فسألتها:

ـ أنا ذاهبة للتسوق، أتريدين أن أجلب لك شيئاً؟

هزّت جوانا رأسها وابتسمت ثم قالت:

ـ لا، شكراً لك سيدة براون.

ـ لن أتأخر إلا نصف ساعة تقريباً. رأيت السيد غراي يصعد إلى

فوق. ناده إن احتجتِ إلى شيء.

ابتعدت السيدة براون قبل أن تدرك جوانا ما قالته تماماً. ما زال غراي هنا؟ اعتقدت أنه خرج. لكن ها هو الآن ينفرد بها. كيف تستطيع مواجهته من جديد؟ وهو قد يتمكن منها هذه المرة.

مشت على رؤوس أصابعها لئلا يسمعها وراحت تصغي بحذر وصمت. تمنت لو تستطيع العبور إلى البستان حيث تشعر بالأمان إلى أن يأتي دان أو السيدة براون ولكن من المؤكد أن غراي ذهبتم برفقة أحدهما.

حين كانت تتسلل داخل الصالة الكبرى رنَّ جرس الهاتف فجأة فتجمدت في مكانها لا تعرف ماذا تفعل. نظرت إلى السلالم. ماذا لو نزل غراي ليردَّ على الهاتف؟ لكنه نادى من فوق:

- سيدة براون! ردي على الهاتف، من فضلك! وإن كانوا من المكتب فقولي لهم إني نازل في الحال واطلبي منهم أن يظلوا على الخط ريثما أصل، فها أنا أحضر ملفاً من غرفتي.

عضت جوانا على شفتها، فإن لم تلتقط سماعة الهاتف، نزل غراي ليرى سبب استمرار الرنين. اقتربت من الهاتف ورفعته لتسمع صوت امرأة وهي تقول:

- هل لي أن أكلم السيد روسمور من فضلك؟

عقدت جوانا حاجبيها وهي تفكر! أهي سكرتيرته؟ إن صوتها جميل مشبع بالأنوثة وهذا ما يبحث عنه دائماً في سكرتيرته. صمتت جوانا قليلاً ثم أجابت بصوت خافت:

- ليس هنا الآن. هل ستتصلين لاحقاً؟

لم ترد المرأة لبعض الوقت ثم عادت وقالت:

- حسناً، اطلبي منه أن يتصل بكارلا حالما يصل، أرجوك.

سحبت جوانا نفساً عميقاً وبدأ جسدها يتجمد ثم قالت:

- كارلا؟ قالت ذلك وكأنها لم تسمع الاسم جيداً.

- نعم، فهو يعرف رقم هاتفي.

ساد الصمت لحظة ثم انقطعت المخابرة. وضعت جوانا سماعة الهاتف جانباً ورمقتها بنظرة وكأنها ترى أفعى سامة. لا بد أن غراي عاد يلتقي بتلك المرأة من جديد... وهذا يعني أنه على علاقة بها الآن. لقد رجع إلى كارلا حالما ابتعدت عن ناظريه.

تفاقم غضبها وراحت الفكرة تزيل الفكرة إلى أن استنتجت أنه عاد إلى كارلا بعدما سامحته وتصالحت معه، أيمكن هذا؟ لا شك في أنها كانت تنتظره فاتحة الذراعين مستقبلة إياه على الرحب. تباً لها! هل قصدت المجيء إلى الحفلة لتفرق بينها وبين غراي بعد وضع السم في أذنها؟

هذا صحيح! آه ما أذكى تلك الآنسة! ولكن هل هناك امرأة قادرة على تحمل ما سمعته جوانا منها دون أن تشعر بالغيرة. فهي لم تنسَ قط تلك العبارة: كنا نشكل ثنائياً رائعاً لذا لن تتمكني من سلبه قلبه كما فعلت أنا.

إن تلك الكلمات عشعشت في ذاكرتها ففي نيويورك أمضت الوقت في تذكرها حتى كادت تصاب بالجنون. كانت أحياناً تحاول أن تغالط نفسها وتنكر ما سمعته ولكن ابتسامة كارلا كانت تؤكد لها كلامها بل كل شيء فيها.. عيناها السوداوان وجسدها وفمها وشعرها المنسدل.. أوحى بذلك. كانت كلما تذكرت شكلها، تشعر بالغيرة وبأنها لا شيء أمام تلك الجميلة كارلا.

أعادها وقع أقدام قريبة إلى الواقع فأسرعت إلى المطبخ لكن غراي ظهر فجأة وراح يحدق إليها قائلاً:

- هل رددت على الهاتف؟

هزّت رأسها غير قادرة على قول كلمة.

- هل كانت المخابرة لي؟

فتحت شفتيها وقالت بذهول:

- نعم.
- أما زال الاتصال قائماً؟
- لا.
- ومن كان المتصل؟
جال نظره في أرجاء الصالة وانتظر منها رداً فقالت بسرعة:
- كارلا.
رأته يقترب منها وكأنه يدرك أنها تخفي شيئاً.
- هل قالت ماذا تريد؟
حاولت جوانا ضبط أعصابها وإخفاء الغيرة المشتعلة في داخلها. أتقول له إنها تعلم بعلاقتهما السرية هذه؟ ولكن كيف رضيت كارلا ببقاء علاقتها به قيد السرية التامة؟ فلو أراد الزواج بها لكان السيد لستر أول العارفين بالأمر، ولكن يبدو أن علاقتهما ما تزال سرية حتى على أصدقاء غراي نفسه. لو لم تكن جوانا تحتقرها لشعرت بالأسف عليها.
عادت جوانا من أفكارها فقالت:
- تريد منك أن تتصل بها. قالت إنك تعرف رقم هاتفها.
ارتعش غراي وقال: «لا أظن الأمر طارئاً».
نزل الأدراج وهو ينظر إليها ثم سأل:
- أين السيدة براون؟
- خرجت.
- ودان؟
فهمت من نظراته أنه يعلم بخروج دان فربما رآه يركب سيارته وينطلق. التقطت أنفاسها وقالت:
- خرج هو أيضاً.
لو فكر في الاقتراب منها أو ملامستها الآن فلن تدعه ينال منها خاصة بعدما سمعت بأذنيها صوت كارلا تطلب منه الاتصال بها.

اقترب منها أكثر وراح ينظر إليها من بين أهدابه السوداء الكثيفة ثم قال:
- إذاً، نحن وحدنا.
نظرت إليه ببرودة واستهزاء:
- ماذا تتوقع مني أن أفعل؟ أن أفقد الوعي؟
لم يؤثر فيه كلامها بل ضحك كثيراً واقترب منها قائلاً:
- وعدتك بأن أبرهن لك شيئاً، أليس كذلك؟
لم تفهم قصده مباشرة، فقد كانت كارلا تشغل تفكيرها ولكنه كان يفكر في شيء آخر.
صمتت قليلاً ثم سألته:
- تبرهن... ماذا؟
اعتقدت أنه سيبرهن لها صدقه منكراً علاقته بكارلا ولكنها لن تصدق كلمة واحدة منه مع أنها كانت تود ذلك.
همس في أذنها قائلاً:
- سأبرهن لك أني لست بارد الإحساس.
أدركت متأخرة ما كان يعنيه، فحاولت الفرار منه لكنه لفّ ذراعيه حول خصرها وشدّهما إليه معانقاً إياها بحنان ولهفة فظلّت تحاول الإفلات منه لكنها سرعان ما أحست بأن جسدها قد بدأ يرتجف فاستسلمت له وراحت تلامس عنقه بيديها وهي غارقة بين أحضانه.
بعد لحظات رفع غراي رأسه وقال وهو يبتسم:
- هل برهنت لك أني على حق؟
لم تفهم قصده.. فكل ما حصل قبل الآن قد ذهب أدراج الرياح. عاد يذكرها بما قالته له:
- لست بارد الإحساس.
عانقها من جديد وراح يقول:
- جوانا، أنا أريدك، أريدك.

اقترب منها أكثر وراح ينظر إليها من بين أهدابه السوداء الكثيفة ثم قال:

ـ إذاً، نحن وحدنا.

نظرت إليه ببرودة واستهزاء:

ـ ماذا تتوقع مني أن أفعل؟ أن أفقد الوعي؟

لم يؤثر فيه كلامها بل ضحك كثيراً واقترب منها قائلاً:

ـ وعدتك بأن أبرهن لك شيئاً، أليس كذلك؟

لم تفهم قصده مباشرة، فقد كانت كارلا تشغل تفكيرها ولكنه كان يفكر في شيء آخر.

صمتت قليلاً ثم سألته:

ـ تبرهن... ماذا؟

اعتقدت أنه سيبرهن لها صدقه منكراً علاقته بكارلا ولكنها لن تصدق كلمة واحدة منه مع أنها كانت تود ذلك.

همس في أذنها قائلاً:

ـ سأبرهن لك أني لست بارد الإحساس.

أدركت متأخرة ما كان يعنيه، فحاولت الفرار منه لكنه لفّ ذراعيه حول خصرها وشدّهما إليه معانقاً إياها بحنان ولهفة فظلّت تحاول الإفلات منه لكنها سرعان ما أحست بأن جسدها قد بدأ يرتجف فاستسلمت له وراحت تلامس عنقه بيديها وهي غارقة بين أحضانه.

بعد لحظات رفع غراي رأسه وقال وهو يبتسم:

ـ هل برهنت لك أني على حق؟

لم تفهم قصده.. فكل ما حصل قبل الآن قد ذهب أدراج الرياح.

عاد يذكرها بما قالته له:

ـ لست بارد الإحساس.

عانقها من جديد وراح يقول:

ـ جوانا، أنا أريدك، أريدك.

أفاقت الآن من غفوتها وبدأ عقلها يعمل. تذكرت اتصال كارلا كما تذكرت الألم الذي سببته لها. كيف استسلمت له بهذه السهولة؟ ما أشدّ غباءها! منذ دقائق أخذت على نفسها عهداً بألا تضعف أمام سحره وجاذبيته ولكن بعد عناق واحد عاد غراي يجري في دمها من جديد. ألم يؤلمها ويجرح شعورها منذ سنتين؟

التفتت نحوه وقالت:

ـ حسناً، أنا لا أريدك!

قالت ذلك وهي تبعد رأسه عن كتفها محررة نفسها من ثقله. ابتعدت عنه ثم أضافت:

ـ كنت أمتحن قدرتي على اجتذابك. أما الآن فابتعد عني فأنا لا أريدك!

برقت عيناه ولاح الغضب فيهما. لاحظت ذلك عليه فتابعت تقول:

ـ إن اقتربت مني مرة ثانية فستضطر إلى مغادرة هذا المنزل، فأنا لن أرضى بالعيش هكذا: أحترس من اقترابك مني طوال الوقت. أنت هنا ضيف فقط، وهذا منزلي. تذكر هذا جيداً.

لم ينطق بكلمة بل استمع إليها بصمت وهذا ما أشبع كبرياءها. ارتقت السلالم وهي ما تزال مهددة متوعدة وعندما وصلت إلى الدرجة العليا نظرت إليه قائلة:

ـ يستحسن أن تتصل بصديقتك الحميمة قبل أن تفقد صبرها. يجب ألا تُبقي علاقتك بها في الخفاء، أما أنا فسأعمل على إعلام والدي بها.

* * *

علم بموت مرتين

جلست على حافة سريرها وراحت تحدق إلى الغرفة محاولة نسيان ما يحصل خلف الباب: لم يتغير أي شيء في غرفتها.. السرير، الخزانة، والتواليت وحتى طلاء الغرفة. كل شيء كان على حاله حتى الصورتين المعلقتين فوق سريرها.

بعد صمت قليل عاد غراي يتوعدها.

- جوانا، عاجلاً أم آجلاً ستخبرينني بالأمر. إن لم يكن الآن، ففي المرة القادمة وذلك حين تفتحين هذا الباب اللعين. أتعتقدين أني سأكتفي بما قلته؟ يجب أن تعطيني تفسيراً كاملاً، ماذا عنيت بحق الله...؟

أدارت وجهها عندما سمعت هدير محرك سيارة في طريقها إلى المنزل، ذاك كان دان الذي عاد من المكتبة.

انتبه غراي لهدير السيارة فعرف بقدوم دان فقال لها مختصراً:

- حسناً جوانا، سأكلمك لاحقاً. لا تحسبي أني سأنسى الموضوع.

سمعت وقع قدميه على الأدراج فهنأ بالها قليلاً مع أنها كانت تدرك أنه يعني ما يقوله، فهو لن يستسلم بسهولة. كيف انجرفت بالحديث عمّا في بالها علماً أنها حاولت إخفاء ذلك مدة سنتين؟ لماذا نكثت وعدها لنفسها في لحظة الغضب تلك؟

اقتربت من النافذة لتستنشق بعض الهواء النقي. كان الجو دافئاً عابقاً بأريج الزهور والرياحين فذكرها هذا الجو بأمسيات عديدة قضتها جالسة أمام تلك النافذة تنظر إلى المروج الخضراء. نظرت إلى ساعة يدها فعرفت أن الوقت ما زال مبكراً.

هل استيقظ والدها في المستشفى؟ هل هو خائف؟ عضّت على شفتها... لم تتوصل إلى معرفة والدها جيداً وطالما استاءت من معاملته لدان؟ فقد كان غير صبور معه وغير متفهم. أحست جوانا بذلك البعد بين دان ووالدها وإحساسها هذا طبيعي فهي ودان توأمان ولكن

والدها في الواقع لم يكن عادلاً مع أخيها الذي أراد منه أن يكون شخصاً مختلفاً لئلا تتكرر الأخطاء التي ارتكبها الأب قبل الابن. ولكن لماذا لم يكن والدها يحب دان كما يجب؟

عندما سمعت خبطة باب السيارة نظرت إلى الخارج فرأت غراي يصعد إلى سيارته التي انطلق بها دون أن ينظر إلى نافذتها، فكان أن وجدت حرية في النظر إلى قامته الطويلة وجسده الممتلىء بعيداً عن إخفاء أحاسيسها تجاهه. لكن لماذا يترك ذلك الأثر الكبير فيها؟

انطلق بسيارته بسرعة جنونية فتساءلت جوانا عن المكان الذي يتوجه إليه ولكنها سرعان ما وجدت الجواب بنفسها: إنه متوجه إلى كارلا طبعاً.. وأين يذهب يا ترى؟ إنه ذاهب إليها ليسترضيها وليطلب منها أن تنسى غيرتها من جوانا. ولكن ربما لم يخبرها بقدوم جوانا، لا شك أنه قد وعدها بقضاء عطلة الاسبوع معها واضطرّ لإلغاء الموعد لأنه توجّه إلى نيويورك. أيمكن أن يكون قد حاول عدم إخبارها بعودة جوانا وإلى متى سيخفي ذلك؟

كانت جوانا تعلم أن كارلا هي إحدى أجمل عارضات الأزياء اللواتي احتلت صورهن غلافات المجلات، وكانت في السنتين الماضيتين تشيح وجهها عن صورتها كلما طالعتها في صحيفة من الصحف لئلا تتذكر ما حدث لها.

رافقته بعينيها النجلاوين حتى ابتعد وتلاشى عن النظر. جالت بنظرها في أنحاء الحديقة فإذا هناك طاولة البليار والمروج الخضراء والنافورة الرخامية. كل ذلك كان يدل على مركز والدها وثرائه.. هذا ما كان غراي يسعى وراءه باستمرار.

لم تفهم كيف يفرط غراي بحياته مقابل المال والثروة والمركز، وكيف يقبل بالزواج من فتاة لا يحبها. هي نفسها تفضل أن تعيش في شقة بسيطة مع من تحب على أن تعيش في منازل فخمة ومترفة كما تفضل أن تقضي حياتها وهي تأكل الهوت - دوغ مع حبيب يشاطرها

mmahilas.com

الحلو والمر على أن تشاطرها مع إنسان لا تحبه، فهو يسعى وراء المال بشغف واضح.

لا شك في أنه يحب كارلا كثيراً وإلا لماذا عاد إليها؟ كرهت جوانا الاعتراف بالحقيقة، وأدركت أنها كانت محقة حين سافرت إلى نيويورك. فلا جدوى من العيش في جنة رجل مخبول، بل كيف تعيش معه وهو يسعى وراء أخرى؟ لكنه أرسل إلى كارلا تلك الرسالة بخط يده فهل هو متورط معها بشيء؟؟

لم يكن ينوي الزواج بكارلا ولو كان ناوياً لتزوجها، فهو يعرفها منذ سنوات بعيدة وذلك قبل أن يتعرف إلى جوانا. إذاً لماذا لا يتزوج بها إن كان يحبها؟ ما هو نوع ذلك الحب؟

لا شك في أن كارلا مولعة به حتى الجنون وإلا لما سامحته وعادت إليه لكن كيف تقبل بذلك؟

ابتعدت عن النافذة وهي تشد بأصابعها على قبضة يدها. ليس لها بأن تنتقد كارلا لرجوعها إلى غراي، فمنذ دقائق قليلة استسلمت له وراحت تعانقه بعطش شديد!!

سمعت طرقاً على الباب وشخصاً ما يقول:

ـ جوانا، هل أنت نائمة؟

كان الطارق أخاها دان. مسحت وجهها بكلتا يديها لتمحي آثار عواطفهاالظاهرة ثم نهضت لتفتح الباب.

دخل دان وهو يحمل مجموعة كبيرة من الكتب. بدا مسروراً بما فعله.

ـ أتعرفين، استأجرت كتابين من المكتبة واشتريت آخر من المخزن، وقد وجدت الدليل المرشد الذي أخبرتني عنه. ها هو انظري. يقولون إن المدارس المهنية تُفتح أبوابها في أوائل أيلول، وهكذا أرى أن عليّ أن أتسجل بسرعة قبل أن يفوت الأوان فتتوقف الطلبات.

ضحكت كثيراً لعجلته فقالت:

ـ تعال ننزل إلى الصالة ونبحث في الكتب وفي هذه الأثناء تحضر ا السيدة براون عشاءً لذيذاً. بالمناسبة، هل عادت السيدة من السوق؟

ـ نعم، إنها في المطبخ وهي تحضر طبقاً شهياً، شممت الرائحة أنا في طريقي إلى هنا. أتعلمين اتصلت بالمستشفى وسمحوا لي يارته، لكنهم أذنوا لي بالنظر إليه من بعيد. لقد بدا أحسن حالاً من بل مع أنه كان نائماً. قالوا إنه يمكننا زيارته غداً صباحاً.

تأبطت جوانا ذراعه وقالت:

ـ هل يسمحون بإدخال الأزهار؟

ـ أعتقد ذلك. أكان يجب أن أقدم له بعضاً منها؟

أحسَّ دان بالذنب، فكيف نسي الأزهار؟ ها هو يفشل من جديد.

أحست جوانا بما كان يفكر فيه فقالت له تخفف عنه:

ـ آه، حسناً فهمتك. تعال الآن نتفقد هذا الدليل ونرى الشروط الكفاءات المطلوبة.

جلسا يتناولان العشاء فعاودت جوانا الحديث:

ـ هل ستناقش الموضوع مع غراي؟

ـ لكنه سيخبر والدي وعندها سيجدان طريقة للحؤول بيني وبين حلمي.

ـ دعني أكلمه بنفسي.

خطرت ببالها فكرة تستطيع بها إقناعه بالموضوع، وذلك بأن شترط عليه أن يقنع والدها بالسماح لدان بممارسة المهنة التي يحب على أن تحتفظ بما لديها من معلومات عن علاقته السرّية بكارلا.

حدّق إليها دان طويلاً ثم قال:

ـ ما الذي يجعلك متأكدة من أن غراي سيصغي إليك؟

ابتسمت ابتسامة شاحبة ثم قالت:

ـ آه، سيصغي، سيصغي. وعلى أية حال فإنه لن يندم على تركك

للشركة، فإن استلمت مهنة وتعلمتها ستبتعد عن طريقه وتفسح له المجال بحرية في أمور الشركة.

ـ صحيح. ما أذكاك! كان عليَّ أن أعرف ذلك مسبقاً.

ـ لكل شخص دوافعه الخاصة.

ـ لقد تعلمت أشياء كثيرة منذ أن رحلت إلى نيويورك، أليس كذلك؟

ـ قُل إني نضجت قليلاً، فالابتعاد عن المنزل يعطيك فرصة لكي تتغير. إن التحرر لا يتسبب بأي ضرر أحياناً.

ـ لكنني لم أقدر على الرحيل تاركاً والدي وحده. لم أجرؤ على معارضته. لا أعرف لماذا، والآن عليَّ أن أسدد مبلغ ستة عشر ألفاً لغراي الذي سدّد المبلغ عني ولا أعرف من أين آتي به. يجب أن أخبر والدي بالأمر ولكن ما إن يعرف حتى يسجنني في ذلك المكتب الحقير حيث أدخل وأخرج دون تحصيل فائدة. ماذا فعلتُ بحياتي يا جوانا؟ بقد زدتُ الأمر تعقيداً.

ـ لا تخبر والدي بشيء الآن فربما يصاب بنوبة ثانية.

ـ لست على هذه الدرجة من الحماقة.

تثاءب قليلاً ثم قال:

ـ سأخلد إلى النوم الآن، فقد كان يومي عصيباً. أشعر أني لم أنم منذ سنتين.

دخلت جوانا إلى غرفتها لتنام ولكنها لم تستطع وظلّت مستلقية حتى سمعت هدير سيارة غراي العائد من السهرة. لقد أمضى ساعات في الخارج وها هو يعود في الواحدة فجراً.

هل قضى الليل مع كارلا في الفراش؟ تلك الفكرة أفقدتها صوابها وأشعرتها بالغيرة. لماذا تجلس هنا تنتظر عودته؟ بينما هو يمضي الوقت مع امرأة أخرى يحدثها ربما عن جوانا ويسخر منها؟

لقد كرهته، بل كرهت نفسها أيضاً لأنها استسلمت له ولكن من

الآن فصاعداً ستجعله يرقص على أنغامها. إن هو أراد أن يُبقي علاقته بتلك المرأة سراً.. فعليه أن يدفع الثمن. فهو يعرف أن والدها رجل متزمت التفكير، متحفظ جداً ولن يقبل بأن يسخر منه رجل مثل غراي الذي يعاشر امرأة وفي الوقت نفسه يدّعي أنه راغب في الزواج بابنته. ومن الطبيعي جداً أن يعتبره جورج لستر محتالاً يحاول أن يهينه ويذلّ ابنته.

ربما يقبل غراي بمساعدة دان إن احتفظت جوانا بما تعرفه عنه وعن تلك العارضة الجميلة.

بعد تلك الدقائق من التفكير المتأرجح، عمدت جوانا إلى النوم ولم تحس بأي شيء حتى فتحت عينيها في الصباح التالي وقد عبقت رائحة القهوة في المكان.

فركت عينيها وكأنها في حلم، لكنها استيقظت تماماً وقد ارتعبت حين رأت غراي جالساً بالقرب منها يحمل فنجان القهوة.

ـ ماذا تفعل في غرفتي؟ اخرج قبل أن أملأ المكان صراخاً.

جلست في سريرها وراحت تشد الغطاء حول جسدها.

وضع غراي الفنجان جانباً وجلس بجانبها ثم قال:

ـ اصرخي كما تشائين. ليس في المنزل سوانا.

وضع يديه خلف رأسه وراح ينظر إلى وجهها الذي اشتعل احمراراً ولكنه بدا في غاية السرور، فصرخت:

ـ دان! دان، تعال إلى هنا!

عندما لم تسمع رداً ابتسم غراي مستهزئاً:

ـ لقد خرج بسيارته منذ عشر دقائق أما السيدة براون فتقوم بقطف بعض التوت من البستان لتصنع لك المربى اللذيذ. عليك أن تستعملي الميكروفون إن إردت أن تسمعك.

التقطت جوانا الغطاء بأصابع مرتعشة وقالت:

ـ لاتعبث معي سيد روسمور! لقد سئمت نكاتك وألاعيبك! اخرج

من غرفتي حالاً! إن عادت السيدة براون ورأتك ستعتقد أننا...

قاطعها قائلاً وهو يعلم أنها لن تنهي العبارة: «نعم».

أحست بالاحمرار يغزو وجهها فلم تطق النظر في عينيه فقد أربكتها الابتسامة التي رسمها على فمه.

سوّت جوانا الغطاء بحيث جلست براحة. هل ظنّ أنه حشرها في الزاوية؟ لا، ستوضح له بأنه على خطأ. قالت:

ـ أريد أن أتحدث إليك.

أزاح يديه من خلف رأسه واتكأ إليهما فوق ساقيه ثم قال:

ـ جيد، فأنا أيضاً أريد التحدث إليك!

لم تعجبها النبرة التي نطق بها أو البريق الذي لاح في عينيه. لقد حلق ذقنه مؤخراً، أبعدت نظرها عن تلك البشرة السمراء الناعمة.

ـ أريد أن أتحدث إليك بشأن دان، فهو يرغب في أن يتعلم حرفة عوضاً عن الجلوس في المكتب. إنه يتشوق لدراسة فن الحفر على الخشب. وأنت تعلم أن أبي لن يوافق على هذا المشروع، لذلك أريد منك أن تقف إلى جانب دان وتسانده. وعليه، سأعقد معك اتفاقاً...

قاطعها بسرعة قائلاً:

ـ موافق.

استغربت موافقته السريعة وقالت:

ـ لم أنه حديثي.

لماذا وافق قبل أن يسمع ما ستقترحه عليه؟ هل أدرك أن علاقته بكارلا وضعته تحت رحمتها وضغوطها؟ هل هذا ما وافق عليه؟

ـ لا داعي لأن تكملي.. فالفكرة تعجبني. صدقيني، دان لا ينفع للعمل المكتبي، فهو يمضي نصف وقته خارجاً والنصف الآخر بالمشاجرة مع الزبائن. هذا الشاب سيصيبني بالجنون.

نظرت إليه جوانا بعبوس وقالت:

ـ تعني أنك مسرور لأنه سيريحك من ثقل كاهله؟

هزّ رأسه قائلاً:

ـ وحين يتعلم كل ما يريده عن الحفر فليعد إلى الشركة مستشاراً. أظنها فكرة رائعة. إنما أريد مقابل أتعابي، وما أريده هو أن يذهب دان إلى طبيب نفسي، فما زلت أؤمن بأنه يحتاج إلى المعالجة والمراقبة ولا أعتقد أنه سيقلع عن المقامرة من تلقاء نفسه.

تنهدت قليلاً وقالت: «أظنه لن يوافق على ذلك».

ـ كلّميه أنت وحاولي إقناعه، فأنت تؤثرين فيه أكثر مني ومن أي شخص آخر.

نظر إلى فنجان القهوة ثم أضاف:

ـ لِمَ لا تحتسين القهوة قبل أن تبرد؟

أمسكت فنجان القهوة بإحدى يديها ورفعت الغطاء بالأخرى وعندما لاحظ غراي حركتها وهي تشد الغطاء قال:

ـ لقد رأيت كارلا ليلة البارحة.

اهتزّ الفنجان في يدها ووقعت بعض النقاط على طرف الغطاء فقال:

ـ أنت محظوظة لأنها لم تعد ساخنة كثيراً.

ارتبكت كثيراً إذ راح يرمقها بتلك العينين الزرقاوين من بين أهدابه السوداء الطويلة، وبعد لحظات قالت وهي تهدد:

ـ لن يكون والدي مسروراً إن عرف بتلك العلاقة السرية!

انتفض في مكانه وعلا الغضب محيّاه الذي ارتسمت عليه علامات التهديد والوعيد، فها هي الآن تحت رحمته: تجلس في سريرها نصف عارية وما من أحدٍ في المنزل تستغيث به. لكنه تمالك أعصابه وقال:

ـ حسناً، إلام تلمّحين؟

ـ اسأل عشيقتك!

ـ ماذا تعرفين عني وعن كارلا؟ من أخبرك؟

ـ هي.

- ليلة البارحة وعلى الهاتف؟ كيف تخبرك بذلك هاتفياً؟ ولماذا؟ أنت لم تلتقِ بها قط، أليس كذلك؟

لا شكَ في أنه فهم من تعابير وجهها وارتباكها بعض الأشياء لأنه عاد يسألها وهو يركز على وجهها:

- هل رأيت كارلا؟ رأيتها، أليس كذلك؟ متى؟ أين؟ تكلمي!

- وهل يهمك هذا؟ أعرف ما يجري بينكما ولا أظن والدي يرضى بذلك، أليس صحيحاً؟

تجهّم وجه غراي وراح يحدق إليها مفكراً. جوانا تحاول أن تبتزّه. أذهلته الفكرة مع أنه هو نفسه حاذق في ابتزاز الأشخاص من حوله، لكنه لم يعتد أن يترك أحداً يبتزّه، وها هي الآن تحاول ذلك وهي جدُّ واثقة من كلامها. سألها بهدوء مصطنع:

- أتحاولين ابتزازي بطريقة ما؟

- أعرف أنك لن تكون مسروراً إن أخبرت والدي بتلك الحكاية الدنيئة، فرأيه بك لن يبقى سامياً مترفعاً كما كان من ذي قبل!

- أتظنين ذلك؟ لا؟

قهقهت بصوت يحمل الغضب بدل الفرح. أما زال يعتقد أنه سيأكل عقلها ثانية؟ لن تسمح له أبداً. قالت وهي تبتسم:

- يا إلهي، يا لبرودتك! سأخبرك شيئاً. عليك أن تكون في موقفك هذا محرجاً.. لن أقول خجلاً.. لكنك تبدو ساخراً. حسناً، إن كنت تحاول أن تُخرج نفسك من هذا المأزق فأنا سأوفر عليك المشقات. لن تخدعني مجدداً ولن تنال مني ولو للحظة!!

سألها وهو لا يزال يحاول أخذ المعلومات منها:

- ولكن متى سبق أن خدعتك؟

انتبهت لسؤاله المبطن فأجابت:

- لا تكترث لما قلته.

- لا بل سأكترث، وأنا أعني ما أقوله.

اقترب منها فارتعشت وابتعدت، فلون عينيه يجعلها تشعر بالبرد. عاد يلحُّ عليها:

- أريد أن أعرف بالتفصيل عمّا تتكلمين وكيف عرفت ذلك.

- لا تحاول أن تجعل مني حمقاء! إلا إن كنت تريدني أن أسرع إلى والدي وأخبره بما أعرف!

ابتسم ابتسامة تحمل التهديد وقال: «أنت تبتزينني...»

ثم ضحك وأضاف:

- أحسست بذلك من تعابير وجهك.

- أنا لا أعتبره ابتزازاً!

- وماذا تسميه إذاً؟

- قل لي أنت، ماذا تسمي الطريقة التي حملتني بها على مغادرة نيويورك؟

- ربما، خدمة عائلية؟

ابتسمت بسخرية وقالت:

- وماذا تسمي الطريقة التي اتبعتها لتجعل والدي يعتقد أننا تصالحنا؟

- أعتبرها تسلية صامتة. لقد أخبرتك.. خشيت أن أضحك وأنا أخبره بأنه أخطأ في التفكير.

صرخت به قائلة:

- أتتوقع مني أن أصدق كلامك؟ لقد تعمدت أن تشرح الحال على غير حقيقته. ذلك هو سلاحك؟ حسناً، فأنا أيضاً أملك سلاحاً ضدك الآن وسوف أستعمله في المستقبل القريب فتذكر ذلك جيداً.

عندما اقترب منها كثيراً ارتعش جسمها فابتعدت وهي تلفُّ نفسها بالغطاء.

قال لها بسخرية ظاهرة:

- يا إلهي، لقد أخفتني!

أدركت استخفافه بها وسخريته منها فذلك واضح في عينيه اللتين راح يرقص فيهما الفرح:

ـ لكنك حتى الآن لم تقولي لي علامَ تساومينني!

ـ تعرف ذلك جيداً. أنت وكارلا!

حدّق إليها مقطب الحاجبين فأردفت تقول:

ـ أعلم أنك خطبتها قبل أن تتعرّف إليّ!

شحب وجهه وقال بغضب:

ـ من أخبرك بهذا؟ كارلا؟

ـ وما الفرق في ذلك ما دمت لم تخبرني بذلك بنفسك؟ لم تنطق بكلمة واحدة عن هذا الموضوع.

ـ لم أعتبر ارتباطي بها ذا أهمية، لذلك احتفظت به لنفسي.

ـ أراهن أنك كنت تهتم!

ـ وهل ذكرت لك سبب فسخ الخطوبة؟

ـ آه، طبعاً أخبرتني.

ـ إذاً تعلمين الآن لماذا أخفيت هذا الأمر عنك ولم أشأ مناقشته في لقائنا الأول.. فقد كنت في أوج غضبي. كنت أريد أن أنساها وحسب.

نظرت إليه بريبة فلم تكن تتوقع منه ردة الفعل الهادئة هذه، لم يحاول أن يدافع عن نفسه أو يعتذر.. بل على العكس بدا حانقاً لما وصل له. عادت تسأله بهدوء:

ـ ما وجهة نظرك حيال هذه القصة؟ فأنا لم أسمع سوى رأيها هي.

طبعاً لم تكن تنوي أن تصدق ما سيقوله لها لكنها تساءلت عما إذا كان لديه تفسير آخر لما حصل فهو لم يتضايق من معرفتها بالموضوع كما كانت تتوقع.

صمت قليلاً ثم أجاب:

ـ لقد اكتشفت أنها أمضت عطلة الأسبوع مع صديق لي متزوج.

هل أخبرتك الشيء نفسه؟

ذُهلت جوانا مما سمعته، فقد كانت تتوقع أي نوع من الأعذار إلا هذا. غير أن كلمات غراي توحي بالصدق.. ربما لأنها مشحونة بالغضب. أخانته كارلا حقاً؟ أكان يغار عليها حتى اضطرَّ إلى فسخ الخطوبة؟ وهل أراد الزواج بها إرضاءلطموحه عوضاً عن الحب الغادر؟ عضّت على شفتها وطأطأت رأسها إلى أسفل:

ـ لا، لم تخبرني بهذا.. لكنها عرضت عليَّ ورقة كتبتها أنت بخط يدك ذاكراً التاريخ، كان ذلك قبل لقائك بي بيوم واحد، صحيح؟ وفي تلك الرسالة قلت لها إنك ستتزوج من امرأة أخرى. أكنت تقصدني أنا؟ هل قررت الزواج بي في تلك الأثناء؟

ساد صمت بعض الوقت نظرت فيه إلى وجهه فوجدته شاحباً فاقداً للون. وبعد قليل قال:

ـ لا، لم أكن أفكر بالزواج في لقائي الأول بك، فقد كنت في مزاج سيء حال بيني وبين هذا التفكير فلم يكن قد مضى وقت طويل على اكتشاف أمر كارلا وكنت ما أزال أفكر في ما فعلته بي تلك المرأة.

ـ لكنك فكرت في الزواج بي سعياً وراء مركز والدي وثروته، أليس كذلك؟ أردتني من أجل الثروة فقط؟

شعرت بأنها ستنفجر غضباً فسحبت دموعها داخل عينيها. ما أشدَّ غباءها! كيف تظهر له غضبها كله؟ لقد عرفت منذ سنتين أنه لم يحبها قط، فلماذا تنفعل هكذا الآن؟

أحسَّ بأنها لم تعد تحتمل عندما قال:

ـ لم أكن أخطط لأي عمل من هذا النوع.

ـ لكنك في رسالتك إلى كارلا قلت...

ـ كنت أحاول الحفاظ على ماء الوجه. كيف تعتقدين أني شعرت؟ أجيبيني! ماذا سيكون شعوري بعدما خرجت مع شخص آخر، وبعدما علمت أنها خانتني وطعنتني في الظهر؟ ماذا تنتظرين مني أن أفعل؟ أقف

www.liilas.com

مكتوف اليدين؟ أتركها تستهزىء بي؟ أحسست بأني مغفّل ولهذا قررت أن أردَّ لها الضربة. قصدت المكان الذي كان ذلك النذل يسكنه وتشاجرت معه وتعاركنا إلى أن كسرت أنفه فاضطرَّ للبقاء في المستشفى مدة أسبوع، وحاولت قصارى جهدي حتى تمكنت من الإفلات من الشرطة. كذبت عليهم لكي أنفذ بجلدي، والحسن في الأمر أن زوجته لم تعلم بشيء. وحتى الآن ما زالت تجهل الموضوع. لم أحاول إخبارها قط وكذلك هو. أما كارلا فقد أهديتها بعض الكلمات التي تعجب خاطرها وتليق بها لأني لا أمدُّ يدي على النساء. أرسلت لها رسالة وقلت فيها إني أنوي الزواج من امرأة تليق بي وأنا أقصد أن أفهمها بأنها لم تجرح قلبي قط.

ـ وهل فعلت؟

سألته وهي تعرف أنه لن يردّ عليها. فالجواب واضح، طبعاً جرحت قلبه وألمته كثيراً وإلا لماذا تهجّم على صديقه وضربه؟ ولكن من هو ذلك الصديق؟ مع من ذهبت كارلا؟ لا شك أن صداقتهما قد توقفت عند ذلك الحد، فغراي لا يسامح بسرعة ولذلك لم تلتقِ بذاك الصديق.

ارتعش غراي وأجابها عن سؤالها:

ـ ظننت أنها جرحت قلبي في الأسابيع الأولى على الحادثة لكنني أدركت أنها جرحت كبريائي لا قلبي، فكارلا مذهلة.. إنها أجمل امرأة رأتها عيناي.

عضّت جوانا على شفتها وكانت تعرف أنه على حق فقد سبق لها أن رأت تلك المرأة الفاتنة. تابع غراي يصفها:

ـ لكنها كإحدى النباتات الاستوائية التي تحمل أزهاراً رائعة الجمال تسحر بها الأعين عند النظرة الأولى. غير أنها سرعان ما تذبل وتظهر على حقيقتها، فهي غير أصيلة وثابتة. وحدها الوردة الانكليزية تدوم بأريجها وجمالها وسحرها.

قال ذلك بينما راحت عيناه الزرقاوان تتأملان عينيها وتنتقلان في أنحاء وجهها: ثغرها، وجنتيها، عنقها.. أحست بأن وجهها يكاد يشتعل فسارعت تقول:

ـ لكنك عدت إليها بعد كل ما فعلته. وبالمناسبة، لا أحب تلك النظرة البريئة في عينيك وكأنك تجهل عمّا أتكلم! اتصلت بك ليلة البارحة وهرولت مسرعاً إليها لتمضي نصف الليل معها.

ـ كيف عرفت كم بقيت خارجاً؟

احمرَّ وجهها أكثر وقالت:

ـ عرفت وانتهى الأمر، فأنا لست غبية حتى أعرف ما كنتما تفعلان طيلة الوقت! إذاً لا تقصُّ عليَّ حكايات خيالية الآن قائلاً إنك نسيتها كلياً لأنك على ما يبدو ما زلت متورطاً معها.

ـ لقد سافرت بأفكارك بعيداً! أمضيت الليل وأنت تفكرين في ما كنا نصنعه معاً؟

اقترب منها وكاد يلتصق بها حين صرخت به قائلة:

ـ دع هذا الغطاء من يدك! لا تلمسه! هيا، اخرج من غرفتي قبل أن أضربك!

ـ انظري كيف أرتجف من الخوف!

ضحك عالياً، وبدل أن يُبعد يده عن الغطاء، راح يلمس وجهها بنعومة، فاضطربت للمساته وصرخت به:

ـ كفَّ عن هذا.

راح يراقب جسدها الذي كاد يحترق تحت الغطاء ثم سألها بهدوء:

ـ منذ متى تعرفين كارلا؟

لم تشأ أن تجيبه وتسلّحت بدان الذي كان يرتقي الأدراج في هذه اللحظة. لقد عاد دون أن يسمع أحد منهما هدير سيارته إذ كانا يتجادلان بصوت مرتفع.

أبعد غراي رأسه ثم قام وهو ينظر إليها وهي تتنهد متنفسة الصعداء:

ـ أنقذك الجرس! لا تكوني متفائلة، سنكمل حديثنا لاحقاً.

خرج بعد لحظات وكاد يصطدم بدان الذي وقف أمام العتبة وهو يحدق إليه متجهماً. قال لها دان:

ـ ماذا يجري هنا؟ لماذا أتى؟

ـ كنا نتحدث عنك. سيساعدنا في إقناع والدي للسماح لك بالالتحاق بالمعهد.. على أن ترى طبيباً نفسياً أولاً.

عبس دان وقال:

ـ لا سبيل إلى ذلك. لن أرى أياً من هؤلاء المعقدين! ما من خطب في عقلي.

ـ دان، المقامرة نوع من الإدمان كالمخدرات والكحول، ويمكن معالجتها باستشارة أخصائي.

ـ يمكنني التوقف عنها متى أشاء.

ـ ما الضرر إن استشرت طبيباً؟ فذلك سيساعدك كثيراً، وإن لم ترغب في الاستمرار معه توقف عن الذهاب ولكن إن ذهبت مرة واحدة على الأقل فسيقبل غراي بمساندتك أمام والدي.

تردد دان قليلاً ثم قال:

ـ حسناً، لكن لمرة واحدة فقط. انتبهي! لن أقضي ساعات النهار مستلقياً على الفراش أروي له قصة حياتي وطفولتي وأحلامي. فأنا لا أطيق الأطباء النفسيين ولكني سأضحي هذه المرة إن كان غراي سيقنع والدي بأن يدعني أترك الشركة وألتحق بالمعهد.

ابتسمت جوانا وأحست براحة عميقة. فهذه خطواتها الأولى نحو التقدم.

* * *

٧ ـ لقاء العدوة

كان وجه جورج لستر شاحباً مخطوف اللون وكانت شفتاه متورمتين ووجنتاه نحيلتين وعيناه غارقتين تحت جفونه المتهدلة. عندما أخبرتهم الممرضة بضرورة عدم البقاء عنده وقتاً طويلاً استاءت جوانا من ذلك التحذير وازداد قلقها.

جلست قرب سرير والدها وأمسكت بيده قائلة:

ـ أبي، هل أجلب لك شيئاً معي؟

همس بصوته الخافت دون أن يتحرك:

ـ لا، شكراً، أنا بخير هكذا.

أما دان فوقف خلفها مضطرباً، فطالما كره أجواء المستشفيات وقد زاد من اضطرابه حالة والده المريض.

حاول جورج لستر أن يرفع صوته ليسأل عن غراي فسارعت جوانا تجيبه:

ـ سيأتي لاحقاً، فهو ينتظر دوره في الزيارة، وقد دخلت مع دان لأننا رغبنا في أن نجتمع معاً بك.

كان الأطباء قد طلبوا إليهم عدم الدخول إلى غرفته بكثرة لئلا يزعجوه.

شدَّ بأصابعه على يد ابنته ثم قال:

ـ أنت وغراي.. خبر رائع. لطالما تمنيت ذلك. إنه بمثابة ابني.

حاولت أن تتظاهر بأنها تبتسم وقالت:

ـ أعرف هذا يا أبي.

أحسَّ دان بالإحراج فقال:

ـ سأطلب من غراي أن يدخل حالاً.

نظر إليه والده ثم قال:

ـ أكاد لا أراك يا دان.

انحنى دان يقبل جبين والده ثم قال:

ـ تبدو أحسن حالاً اليوم، عدتك البارحة يا أبي.

تجهّم وجه جورج: «جئت البارحة؟ لا أذكر ذلك.»

ـ كنت نائماً، فلم أشأ إزعاجك لذلك نظرت إليك من بعيد ثم رحلت.

بدا دان بريئاً فنظر إليه والده وابتسم ابتسامة شاحبة ثم قال:

ـ آه، فهمت. أشكر لك عيادتك لي دان.

سمعت جوانا تنهدات والدها حين راح يراقب ابنه وهو يخرج من الغرفة. بدأت تقول بحذر شديد:

ـ أتعلم يا أبي، دان يدرس الآن مهنة الحفر على الخشب. لقد أحبّ تلك المهنة كثيراً، ليس لديَّ أيّة فكرة عن تاريخ هذه الحرفة. يقول دان إنها في الأساس حرفة رومانية.

حدّق إليها جورج دهشاً:

ـ كنت دائماً حالمة ولكن اعلمي أنه غير عملي في حياته، وأخشى عليه مما سيصل إليه يوماً.

دخل غراي منضماً إليهما. فلاحظت البريق الذي ظهر في عيني والدها لحظة دخول غراي. ابتسم الوالد وقال:

ـ ما أروع أن أراك غراي! كيف حال العمل؟

تدخلت جوانا مقاطعة والدها وقالت بلهجة الآمر:

ـ لا أعمال.

قطّب والدها عينيه وكأنه طفل صغير وقال:

ـ أريد فقط أن أعرف ما...

ضمَّ غراي صوته إلى صوتها وقال مبتسماً:

ـ لا أعمال. سمعتها؟ أتريد أن تورّطني مع ابنتك، أم ماذا؟ طبعاً هي لا تخيفك أنت أما أنا فبلى!

حاولت جوانا أن تخفي انزعاجها من كلامه السخيف ثم سمعت والدها يقول:

ـ يجب أن تثبت رجولتك منذ البداية يا بنيّ، لا تدع امرأة حياتك تتحكم بك!

تظاهرت جوانا بالضحك ولكنها رفعت شعرها عن عينيها بانزعاج حين رمقها غراي بنظرة الانتصار وهو يقول:

ـ لا تشغل بالك، ستبقى تحت سيطرتي.

كان لهذه الدعابة نتيجة فعّالة فقد عاد الاحمرار والعافية إلى وجه والدها فابتسم ابتسامة قلبية. عند ذلك أخفت جوانا انزعاجها كله وذلك لئلا يلاحظ والدها شيئاً.

بعد انتهاء الزيارة خرج غراي برفقتها إلى الممر الطويل ومن هناك صحبها إلى منزلها. أثناء سيرهما التفتت إليه قائلة بتأنيب:

ـ لا تفعل ذلك مجدداً!

ـ ماذا؟

ـ لا ترمقني بتلك النظرة الجميلة.. تعرف تماماً ما أقصد! تلك الكلمات... لم أتفوه بكلمة واحدة لئلا تثير أعصاب والدي أما أنت فاستغليت الموقف بكل سرور.

كانت تخاطبه بغضب حتى تصادمت كلماتها ببعضها بعضاً. مرّت بجانبهما ممرضة متمرنة جميلة المظهر وراحت تحملق في وجه غراي وتصغي إليهما وهما يتجادلان. انتبه غراي إليها فرماها بغمزة من عينيه الزرقاوين، ثم حاول الدفاع عن نفسه قائلاً:

ـ حسناً جوانا لا تنفعلي هكذا فوالدك يظن أن مكان المرأة

الأساسي هو منزلها، وأنا كنت أمازحه فقط.

انتبهت جوانا لوجود الممرضة لكنها ردّت عليه ترفض أن تصدق كلمة واحدة مما قاله لها:

- ألا تعتقد أن مكان المرأة هو البيت؟

- أنا؟ لا، أبداً. بالنسبة لي مكان المرأة الأساسي هو فراش زوجها.

- رجلٌ مثالي!

ساد الصمت بينهما حتى وصلا إلى موقف السيارات الخاص بالمستشفى. كان دان قد جلس في مقعد سيارة غراي الخلفي مسنداً رأسه إلى ظهر المقعد مغمضاً عينيه مفكراً. نظرت إليه أخته متسائلة، هل جرح ما قاله والده عن غراي شعوره؟ فتح دان عينيه ثم قال:

- سأقصد المدينة الليلة لمشاهدة السينما. أحتاج إلى الأضواء الصاخبة.

صعدت جوانا إلى السيارة ثم قالت: «سأرافقك».

- يستحسن ألا نذهب معاً فربما حدث طارىء في المستشفى.

لم يعلّق غراي على الحديث بين التوأم بل تابع يقود سيارته نحو المنزل. لكنه حين وصل إلى الموقف، طبطب على كتف دان وقال له:

- انسَ هذا الليلة يا دان.. واذهب غداً، فما زلت تعباً.

وهل يصغي دان إلى نصائح غراي وأوامره؟ قال وهو حانق:

- اللعنة عليك، لِمَ لا تهتم بأمورك الخاصة فقط؟

ترجّل من السيارة صافقاً الباب بقوة فلحقت به جوانا مسرعة لكنه سرعان ما صعد سيارته وانطلق قبل أن تصل إليه لتكلمه. لم يتوقف بل زاد سرعته حتى عبق الجو بغبار سيارته، بل كاد يصدم أخته.

ارتجفت جوانا وهي ما تزال واقفة في مكانها تحدق إلى أخيها ثم قالت: «تباً».

اقترب غراي منها ووقف بمحاذاتها وقد تجهّم وجهه، فنظرت إليه

قائلة:

- لا شك أنه متوجه إلى أحد النوادي الليلية... سيعاود المقامرة. لماذا لم تحاول إيقافه؟

- سنحاول معاً. تعالي الآن. ادخلي وبدّلي ملابسك بما هو أنق وأنسب للنزهة الليلية. سنقوم بجولة على الأماكن التي يرتادها دان باستمرار، وهناك سنجده حتماً ولكن هذه الأماكن لا تفتح قبل التاسعة. ربما سيشاهد فيلماً ثم يتناول العشاء وبعدها يبدأ بالمقامرة. لدينا متّسع من الوقت لنلحق به فكفّي إذن عن هذه النظرات المتشائمة. لن يلحق بك أي ضرر إن تعرّفت إلى الأماكن التي علق بها أخوك.

حدّقت إليه وهي تعضُّ على شفتها وسألته:

- وكيف تعرف أين سيكون؟

- لقد اضطررت لدفع الديون المسجلة عليه. لولا تسديدي الديون المتوجبة عليه لكان أصحابها الآن يسعون وراء والدك.. اضطررت للرد على جميع المكالمات لئلا يعرف والدك بها.

- كنت تعرف أنه يقامر ولم تحاول منعه؟

حدّق إليها غراي غاضباً:

- وماذا تقترحين عليَّ أن أفعل؟ أكان يفترض بي أن أقيّده؟ أم أصفعه؟ أم أخبر والدك بالأمر فيقطع مصروفه نهائياً؟ فعلت ما بوسعي: تكلمت إلى دان، ووعدني بألا يعاود المقامرة وقد أوفى بوعده بعض الوقت ولكنه ما لبث أن نقضه ثانية. أتعتقدين أني لا أعرف لماذا خرج الليلة؟ لقد بدّلت رؤية والده حاله، أليس كذلك؟ إنها القصة ذاتها دائماً. فلنقل إن لدى دان حساسية من والده. إنه يحبه لكنه حب مدمّر وهو ليس لصالح دان على أية حال.

أصغت جوانا إلى كلماته بوعي وتفهم فأدركت أنه محق في كل كلمة قالها. هزت رأسها وقالت:

- آسفة جداً، فأنا لم أكن عادلة في الحكم عليك. ما كان يجب أن

أقول عنك ما قلته، فذلك ليس ذنبك بل أنا ممتنة لك على كل ما فعلته من أجل دان.

دخلت المنزل وصعدت إلى غرفتها لتبدّل ملابسها بثوب يتناسب مع أضواء السهرة. التقطت فستاناً أنيقاً من الساتان ذا لون مشمشي، ووضعته فوق جسدها كله لكنه ترك كتفيها مكشوفتين. نظرت إلى نفسها في المرآة فشعرت ببعض التحسن لأن اللون المشمشي أعطاها بعض الرونق الذي فقدته في اليومين الأخيرين.

كانت عيناها شاحبتين حزينتين رغم اللون الأخضر الذي برّجت به جفنيها. وبعد أن انتهت من التبرج سرّحت ذلك الشعر الأشقر الطويل، وحسناً فعلت، فقد أعطت لوجهها بعض اللون وإن يكن اصطناعياً. بدت وكأنها ذاهبة إلى حفلة ما مع أنها وجدت صعوبة في التبسّم. لم تكن ترغب في الذهاب إلى مانشستر مع غراي لتتنقل بين النوادي والبارات باحثة عن أخيها ولكنها في الوقت نفسه لم تستطع الجلوس مكتوفة اليدين وأخوها يقامر بأموالٍ ليست له.

لقد أصبح مديناً لغراي بمبلغ كبير... كيف سيرد له تلك الأموال ما لم يأخذها من والده؟ ولماذا تحمّل غراي مسؤولية تسديد ديون دان التي أنفقها في القمار؟

أسئلة وشكوك كثيرة زادت من حيرتها وقلقها. ما الذي يخطط له غراي؟ من أين يأتي بتلك الأموال؟ سيارته، ثيابه الغالية، والمطاعم والفنادق التي يرتادها باستمرار.. كل ذلك يدعو للاستغراب. من أين جاء بها؟ من في هذا العالم يقبل بأن يسدد مبلغ ستة عشر ألفاً وهو يعرف أن رده طويل الأجل؟

خرجت من غرفتها ووقفت في أعلى الأدراج المؤدية إلى الصالة. ألقت نظرة إلى أسفل فوجدته هناك منتظراً. لم تكن أنوار الصالة مضاءة باستثناء واحدة فقط، وكان الغروب في بدايته فازدادت رومانسية الجو. عبر ذلك الضوء الخافت، رأت غراي وهو ينظر إليها بعينيه

الزرقاوين اللامعتين فخفق قلبها بسرعة وازدادت دقاته وانقطعت أنفاسها تقريباً.

لقد بدّل ملابسه أيضاً. كان يرتدي سترة سوداء وضع تحتها قميصاً أبيض شفافاً فوقه ربطة عنق سوداء أيضاً. كانت الملابس الرسمية تناسبه كثيراً وقد بدا جذاباً فيها. اقترب من أسفل الأدراج وراح يراقبها وهي تمسك بطرف ثوبها لئلا تتعثر به أثناء هبوط الدرج. انتبهت لنظراته الدقيقة وكم تمنت لو تعرف في ما راح يفكر. لكنها متأكدة بأنه كان، الآن وقبلاً يجدها جذابة وفاتنة على الرغم من أنها كانت أحياناً تشك في ذلك. حين وصلت قالت وهي شبه متلعثمة:

ـ يجدر بنا أن نُعْلِم السيدة براون بخروجنا قبل أن تحضر العشاء.

ـ لقد أعلمتها، وطلبت منها أن تأخذ إجازة هذا المساء.

نظرت إليه بحدة، فقد كان يعطي الأوامر في منزلها وكأنه السيد المهؤول. فهم غراي نظراتها فابتسم قائلاً:

ـ لقد رأتني في بذلتي الرسمية ولا شك في أنها تساءلت إلى أين نذهب.. لذلك قلت لها بأني دعوتك إلى حفلة راقصة. أعجبتها الفكرة وقالت لي إنه علينا أن نمضي بعض الوقت معاً، إن تفكيرها رومنطيقي.

ـ ما كان يجب أن تقول لها ذلك، فستفهم الآن الأشياء على غير حقيقتها وحينما تدرك أن ذلك كان مجرد تمثيلية، فستشعر بأنها غبية. سأذهب وأوضح لها الأمر حالاً

أمسك بذراعها وراح يشدّها في الاتجاه المعاكس وذلك نحو الباب الرئيسي:

ـ إن كنت ترغبين في اللحاق بدان فمن الأفضل أن ننطلق.

سارت إلى السيارة وهي تحدق إليه بعينيها الغاضبتين:

ـ حسناً، سأخبرها غداً إذاً.

أدخلها غراي إلى السيارة وأجلسها في المقعد الأمامي دون أن

يعلق على كلامها، فراحت ترتب فستانها فالساتان يتطلب المداراة. أما هو فجلس خلف المقود وشغّل المحرّك ثم قال:

- ثوبك رائع. إنه يذكرني بالمشمش وهو لون جميل ومُغْر.

أحست بالاحمرار يغزو وجنتيها ولكنها أجابت:

- شكراً لك.

- ألن تسأليني ما هو الشيء المغري؟

حوّلت جوانا بصرها إلى النافذة نحو المروج الخضراء والأزهار الملونة والنجوم الساطعة في السماء العالية.

ألقى نظرة سريعة على وجهها العنيد ثم أجاب بنفسه على سؤاله:

- معظم الرجال يجدون لذة في نزع الثوب، فتلك عملية مغرية.

رمقته بنظرة حادة ثم قالت:

- لِمَ لا نصغي إلى بعض الموسيقى، فأنا لا أجد رغبة في التحدث، خاصة إن استمريت تلقي هذه التلميحات طوال الطريق.

- حسناً اختاري شريط كاسيت. إنها في التابلو.

اختارت جوانا شريطاً يحمل موسيقى البيانو لشوبان ثم أسندت ظهرها إلى المقعد وراحت تنقل عينيها بين السماء والأرض مصغية إلى الموسيقى العذبة، أما غراي فبقي صامتاً ينصت إلى الموسيقى وهو يقود بسرعة على الطريق الواسعة. عندما لاحظت جوانا اندماجه بالموسيقى استسلمت لأفكارها بحرية وعندها أحسّت بالقلق على دان ومصيره ثم تساءلت عن مصدر الرفاهية التي يعيشها غراي وعن حال والدها وما يخبئه المستقبل لهم جميعاً. حين كانت في نيويورك لم تقلق هكذا أبداً فقد كانت بعيدة عن هذه المشاكل كلها، لكنها عادت الآن وعلقت في خِضَمّ الأزمات كما تعلق الذبابة في بيت العنكبوت.

أوقف غراي سيارته في الموقف الخاص بأول نادٍ ليليّ وصلا إليه في مانشستر. وبعد ذلك صعدا في المصعد إلى طابق الفندق العلوي الذي يحتوي النادي. حيّاهما المدير لكنه اعتذر قائلاً:

- أهلاً بكما. لكنني آسف اليوم لأنه لا طاولة شاغرة، أرجو المعذرة! يجب أن تنتظر بعض الوقت ريثما يخرج أحد الزبائن.

اقترب غراي قليلاً وألقى نظرة على الغرفة فإذا هي محتشدة بالزبائن مضاءة بأنوار خافتة وصادحة بصوت مطربة كانت تشغل المسرح. لم تكن جميلة غير أن الجمهور كان يصفّق لها بحماس وشوق إذ راحت تتحرك برشاقة على المسرح وهي تغني وترقص. لم تنتبه جوانا لما قاله غراي أو فعله، فقد كانت تحدق إلى المطربة بإمعان. وفجأة رأت الخادم يرشدهما إلى طاولتهما. كيف أقنع الرجل بتأمين تلك الطاولة لهما؟ هل أعطاه رشوة بالسر؟ هذا معقول جداً.

طلب غراي عصيراً وبعض الكافيار كما لو كان معتاداً على هذه الأشياء، فنظرت إليه بريبة وقد ازدادت شكوكها. هل اعتاد ارتياد مثل هذه الأماكن؟ من أين يأتي بالمال لكل هذا؟ لم تجد أجوبة عن أسئلتها، فقالت:

- أتعتقد أننا سنجد دان هنا؟

دنا منها وهمس في أذنها:

- إن نظرت في الزاوية ستجدين بعض أصدقائه. هم ذوو الهندام الأنيق الذين يثيرون الضجة، أترينهم؟

نظرت جوانا من بين الدخان الرمادي الكثيف فإذا بها لا تعرف هؤلاء الأشخاص من قبل. شابان وفتاتان، أنيقون وجميلو المظهر وهم يبدون من الأثرياء رغم سخافتهم. أزعجها ذلك المنظر فقالت باشمئزاز:

- دان يصاحب أشخاصاً كهؤلاء؟

- في الآونة الأخيرة فقط. هؤلاء يقامرون أيضاً.. ويقومون بعدة مشاغبات في أماكن كهذه. يسمون ذلك مرحاً. إنه مرح من النوع الثمين بالنسبة لدان.

- لن يتمكن دان من تسديد المبلغ لك إلا إذا اقترضه من والدي..

أيمكنك الانتظار؟

لم يعطها جواباً بل أمسك كأس العصير وراح يحتسيه، فكان أن التقطت هي بدورها كأسها وشربت منه القليل ثم قالت:

- أظن أن هؤلاء الناس مستعدون لرهن الأرض لقاء المشروب والكافيار. بالمناسبة هل سيتسجّل هذا على حساب الشركة؟

أجابها وهو يحدق إلى عينيها اللتين تتهمانه وتشكان فيه:

- لا، فأنا لا أعتبر هذه النزهة من أعمال الشركة الشرعية. هيا قولي لي يا جوانا ماذا يخطر ببالك؟ فيم تفكرين؟ فأنا أعرف تلك النظرة المشبعة بالشك. بِمَ تتهمينني الآن؟

- لا أتهمك بشيء. كل ما هناك أني فضولية.. فأنت تنفق حتى التبذير. سيارتك ليست رخيصة وثيابك ثمينة وغالية أيضاً. أعتقد أن عليك الادّخار ولو قليلاً، فإن بقيت هكذا لن يبقى معك فلساً في نهاية السنة.

- آه، فهمت. أتحسبين أني أزوّر الدفاتر؟ أختلس الأموال الخاصة بوالدك كما فعل دان؟

- لم أقل هذا!

- لكنك قصدته، صح؟

- تساءلت فقط إن...

- لا، يا جوانا. جوابي هو لا.

قطب حاجبيه ولمعت عيناه غضباً فاضطربت أعصابها من أثر ذلك العبوس وفكرت في أنه ما كان يجب أن تتفوه بتلك الحماقات.. فهي لا تملك أي دليل ضده، شكوكها جميعها مرتكزة على تقديرها وتخمينها للأشياء حولها. ثمة تفسير واحد.. ربما يملك مالاً خاصاً به ولكنه لم يخبرها شيئاً من هذا القبيل. طبعاً، فهو لم يكن يتحدث عن ماضيه كثيراً بل احتفظ به لنفسه. لقد كان كتوماً فيما يتعلق بماضيه وعائلته وحياته السابقة ولم تلاحظ ذلك حتى تعرفت إلى كارلا في

الحفلة وأدركت مدى معرفتها بغراي. لقد كانت تحبه بجنون ولهذا لم تكترث بالسؤال عن أصله وفصله.

احمرّ وجهها وشعرت بالإحراج ثم سألت مجدداً:

- أتملك عائلتك مالاً كثيراً؟

لم يرد على سؤالها بل قرّب طبق الكافيار قائلاً:

- تناولي بعض الكافيار.

لم تشعر بالجوع لكنها تناولت ملعقة من تلك اللآلىء السوداء وقطعة من الليمون والبيض المسلوق مع التوست المحمّص.

إن كان يظن أنها ستتوقف عن استجوابه فهو مخطىء. تابعت تقول:

- هل والداك على قيد الحياة؟

نحّت طبق الكافيار نحوه، فنظر إليها وهو يتناول ملعقة منه وقال:

- لا، كلاهما متوف.

- آه، آسفة جداً. متى؟

- لم أعرفهما قط.

اتسعت عيناها وبدت الدهشة على وجهها حين قالت:

- لم أكن أعلم أن... هذا يعني أنك كنت طفلاً صغيراً؟

- نعم.

كان اعترافه مختصراً. لم يكن يرغب في التحدث عن عائلته فغيّر الموضوع وراح يقول:

- إن لم يظهر دان هنا في نصف ساعة فإننا سنذهب إلى البلاك كات.. فهو يقامر هناك أكثر من أي مكان آخر.

طأطأت رأسها وهي تدرك أنه قصد تغيير الموضوع ولم تكن المرة الأولى ولكنها هذه المرّة لن تدعه يسكتها، فقالت:

- كم كان عمرك حين تُوفي والداك؟

لاحظت عدم رغبته في الإجابة.. لماذا لا يحب التحدث عن

ذلك؟ ما الذي يخفيه عنها؟

أجابها:

- كنت طفلاً صغيراً. أترغبين في المزيد من الكافيار؟

- لا، شكراً لك.

استوعبت كلامه بجدية وأحسّت برعشة في جسدها. ماذا يمكن لطفولة كهذه أن تؤثر أو تترك في الإنسان؟ فهي عاشت طفولة سعيدة حين كانت أمها على قيد الحياة، ولكن بعد أن توفّاها الله، انقلبت حياتها جحيماً وأصبحت باردة خاصة بعد برود مشاعر والدها تجاه ولديه. كانت تتذكر طفولتها والسعادة التي كانت تغمرها كلما أحسّت بالحزن أو الضيق. لقد عاشت طفولة تزينها الشمس المشرقة. ربما هذه هي الحال مع جميع الناس وهم في سن الطفولة، لكن هل كان الوضع نفسه مع غراي؟

ترددت قليلاً ثم سألته: «ومع من كنت تعيش إذن؟»

- مع عمي شقيق والدي.

- أكنت تحبه؟

- ليس كثيراً وهو أيضاً لم يكن يحبني، لقد عشنا تحت سقف واحد وكان على كل منا أن يحتمل وجود الآخر.

- أكان متزوجاً؟

- لا، يمكنك تسميته عدوّ النساء الأول. لم تدخل بيته امرأة قط.. فقد كره صنف النساء وكان سيء المزاج وحاد الطباع. حين كبرت أدركت أني لم أعد مضطراً للعيش معه. وحين بلغت الثامنة أرسلني إلى مدرسة داخلية ولم يسأل عني إطلاقاً.

- لقد شعرت بلا أدنى شك بالوحدة. أكنت تحب المدرسة؟

- نوعاً ما. على الأقل حظيت فيها ببعض الأصدقاء.

- أما زال عمّك...

- لقد مات حين بلغت الخامسة عشرة.

نظر إلى ساعته ثم قال:

- حسناً، يجب أن نتحرك الآن.. فلو كان دان آتياً إلى هنا لوصل الآن.

استدار ونادى الخادم ليسدد الحساب ثم اصطحب جوانا وانطلقا ولكن ما إن وصلا إلى المصعد حتى التقيا مجموعة جديدة من الشبان والفتيات فتساءلت جوانا عما يعجبهم في ذلك النادي، فالطعام عادي والموسيقى صاخبة. لم تكن تلك الأشياء تستهويها ولكن هل كان غراي من محبيها؟

ما إن همّا بالصعود في المصعد حتى أدركت أن أحد أعضاء المجموعة الجديدة كان كارلا...

أحست جوانا بارتعاشة في جسدها واحمرار في وجهها لكنها سارعت وابتسمت لئلا يلاحظ أي من غراي أو كارلا انفعالها الشديد.

بعد لحظة خاطفة، نظرت كارلا إلى غراي أما جوانا فراحت تراقب النظرة التي تبادلاها والتي أوحت للأعمى بأنهما على علاقة. لم يكن أي منهما يتوقع رؤية الآخر. احمرّ وجه كارلا أما وجه غراي فتجهّم كثيراً.

أمسكت كارلا أعصابها بسرعة، وهذا طبيعي، فهي ممثلة رائعة. وما هي إلا لحظات حتى ابتسمت ومدّت يدها وهي تقول:

- آه، غراي. ما أجمل أن أراك. لقد مضى وقت طويل على رؤيتك.

لم يرغب غراي في مدّ يده لكنه اضطرّ لمصافحتها، فمدّ يده بشكل خاطف وكأنه يكره أن يلامسها ولاحظت جوانا تصرفه هذا.

اقتربت كارلا منه ولثمته على وجنته لكنه أظهر تكشيرة عوضاً عن الابتسامة. لم يقل لها شيئاً فتابعت تقول:

- عزيزي، تبدو مذهلاً! أتمضي الليلة في موعد؟

التفتت وعندها وقعت عيناها على جوانا فدهشت دهشة عارمة:

- يا إلهي.. أليست هذه جوانا لستر؟ أليست هي؟

رحّبت بها جوانا ببرودة:

- مرحباً.

كانت كارلا تضع في أذنيها أقراطاً مرصعة بالألماس وكانت تطأطىء رأسها مراراً حتى تكشف عنها وتضحك ضحكات مصطنعة مقلّدة.

- ظننتك تقيمين في الخارج هذه الأيام.

- صحيح.

لم تستطع جوانا أن تخفي كراهيتها لتلك المرأة التي أغرم بها غراي حتى الوله وإلا كيف عاد إليها بعدما عرف بخيانتها له. لكن كارلا ذكرت لتوّها أنه مضى وقت طويل على رؤية غراي مع أنها أمضيا ساعات طويلة ليلة البارحة، فأدركت أن كارلا ماهرة في الكذب ولكنها رغم ذلك شعرت بالدهشة لما سمعته من ذلك الثغر الأناني الطمّاع والجميل.

- أتعرفين يا جوانا، أنا نفسي فكّرت في السفر إلى الخارج وأنا مولعة بالولايات المتحدة، نيويورك. فهناك الحركة الدائمة، أليس كذلك؟

ضحكت وهي تتكىء إلى كتف أحد أصدقائها، وراحت تحدق إلى غراي بعينيها الجميلتين الساحرتين. ولكن جوانا شعرت أنها توجّه كلامها إلى غراي لا إليها. ربما هي تحذره بأنها ستتركه إن لم يتزوج بها في القريب العاجل! كيف وماذا سيكون رده؟

حاولت جوانا أن تبدو طبيعية فسألتها:

- أما زلت تعملين في عرض الأزياء؟

- لا يا عزيزتي. عرض الأزياء ليس سوى الخطوة الأولى نحو أشياء أهم.

استاءت جوانا من ذلك الجواب. ما هي الأشياء الأهم؟ أتقصد

معاشرة رجال أغنياء؟ احمرّ وجهها وتمنت لو تصفعها بكلتا يديها على ذلك الوجه الجميل لكنها لجمت أعصابها فوراً.

راحت كارلا ترمقها من أعلى إلى أسفل ثم قالت:

- ما هذا الثوب الزاهي اللون؟ إنه حقاً مذهل أليس كذلك عزيزي غراي؟

صكّت جوانا على أسنانها، فثوبها المشمشي اللون قد بدا باهتاً أمام ذلك الثوب الأسود الشفاف الذي كانت تضعه كارلا فوق جسدها المغري. كان حقاً ثوباً غالي الثمن وهو من صنع مصمم مشهور ولا بد أنه قد كلفها مال الأرض.

وضع غراي يده تحت كوع جوانا ثم اقترب منها قائلاً لكارلا وأصدقائها:

- أخشى أنه علينا الإسراع. صدفة جميلة.

إبتسم قليلاً لكنه لم ينظر في وجه كارلا بل ثبّت نظره على أصدقائها الذين يصغون إلى الحوار بصمت وفضول.

انزعجت جوانا لهذا وخرجت برفقة غراي وهي تعرف أن كارلا قد ربحت الجولة هذه المرة. ولكن ما كان يجدر بها أن تتحدى تلك المرأة، فمن الحماقة أن يفقد الإنسان صبره مع أشخاص مثلها.

دخلا المصعد وتوجّها نزولاً نحو المدخل الرئيسي. كانت جوانا تبدو شاحبة وهي غارقة في أفكارها المريعة. ما الذي يجري بين غراي وكارلا؟ هل انتهت علاقتهما حقاً؟ أم أنهما كانا يمثلان أدواراً معقدة؟

حين توقف المصعد انطلقا معاً ولكن غراي لاحظ شرودها فقال: «فيم تفكرين؟».

- لم أكن أفكر.

- لا؟

بدا غير مقتنع بكلامها. لقد أنكرت ذلك وتوجهت نحو السيارة الراكنة في الموقف المظلم. عندما حاول غراي أن يسير ببطء خلفها

مصغياً إلى طقطقة حذائها على أرض الموقف، وكان خيالهما ينعكس على الجدران من أثر النور الخافت.

تابعت سيرها نحو السيارة ثم سألته:

- لماذا أنكرت أنها رأتك ليلة البارحة؟ يا لها من كذبة حقيرة وسخيفة!

أجابها وهو يقصد إغاظتها:

- آه، أهي كارلا التي لم تفكري فيها؟ شككت في ذلك!

- على أية حال، لماذا كذبت؟ هل تشاجرتما مجدداً؟

حاولت أن تخفي أملها بذلك. ولكن لماذا تهتم هي؟ فليقم علاقة مع أية امرأة تعجبه، فهذا لا يهمها لأنها تحتقره.

لم يرد على سؤالها بل اقترب من سيارته وفتح الباب لها لتصعد ثم اتجه نحو الشارع العام وهو يتمتم:

- من الصعب أن أشرح لك هذا الليلة.. علينا أولاً أن نجد دان.

تنهدت جوانا بعمق وقالت:

- إن كان قد جاء إلى مانشستر.

- إحساسي يقول لي إننا سنجدة في البلاك كات.

- وماذا إن لم نجده؟

- عندها سنبحث في مانشستر وجوارها حتى نجده.

- كان علينا أن نتبعه فور انطلاقه! فسيارتك أسرع من سيارته.. كان يمكنك اللحاق به ومن ثمَّ سدّ الطريق عليه حتى يتوقف.

- أو يصطدم؟ ألم يخطر ببالك أنه حين يرانا وراءه سيزيد من سرعته ويقود كالمجنون والله يرحم من يأتي في طريقه عندها؟؟ دان متهور وعصبي خاصة حين يكون في مزاج سيء كالليلة. أتساءل عن مدى معرفتك بأخيك!

أوقف سيارته في موقف ثم قال لها:

- لماذا لا تبقين في السيارة ريثما أذهب وألقي نظرة على المكان

لأرى إن كان هناك؟

- أفضل أن أرافقك. لا أظنه سيغادر المكان إن طلبت أنت منه ذلك ولكنه قد يفعل من أجل خاطري أنا.

- سيفعل إن طلبت منه أنا ذلك. ابقي في السيارة يا جوانا وهذا أفضل. فقد يضطرني إلى استعمال القوة ولا شك أنك ستقفين في طريقي عندها.

وسار مبتعداً عن السيارة فترددت في إطاعته أو اللحاق به. رأت أنه على الأرجح محق. إن كان دان سكران فذلك سيسبب جلبة ومشاجرة حادة ومن الأفضل ألا تشهد ذلك بنفسها.

أحست بأنها تخون أخاها وذلك بالسماح لغراي بإحضاره ولو بالقوة، فما كان منها عندئذ إلا أن ثبتت نظرها على مرآة السيارة وراحت تراقب غراي وهو يدخل إلى النادي. لو كانت تعلم أن أخاها سيعود معها إلى المنزل بالحسنى، للذهبت مع غراي، لكنها تعرف دان نعم المعرفة فهو عنيد وعصبي.

لم تضطر للانتظار طويلاً، فما هي إلا لحظات حتى عاد غراي وهو يشد دان السكران من ذراعه ويخرجه من المدخل. عندها سمعت أخاها يتوعده ويشتمه بأسماء مشينة رذيلة.

تجاهل غراي كلماته بأجمعها وظلّ يضغط على ذراعه حتى لواها وتمكن من سحبه إلى السيارة. فتحت جوانا الباب الخلفي فرمقها أخوها بنظرة حادة وغاضبة.

جلس غراي خلف المقود وعادت هي إلى مقعدها، أما دان فحاول أن يفتح الباب ولكن غراي كان قد أقفله أوتوماتيكياً وأصبح دان سجيناً. ولم يكن من غراي إلا أن تابع سيره نحو المنزل بسرعة جعلت جوانا تجزع خوفاً.

حين وصلوا، أوقف غراي سيارته وفتح الباب لدان الذي فرّ إلى المنزل كهر مذعور لا يلوي على شيء.

٨ ـ يا قيود «لا»

في اليوم التالي ذهبت جوانا تعود والدها.. حين دخلت غرفته وجدته واقفاً أمام حافة النافذة يقرأ صحيفة اليوم، فأذهلتها رؤيته تلك. فقال لها:

ـ عيناك لا تخدعانك!

ـ طبعاً.

جلس في كرسيه وقد بدا جسمه نحيلاً فانحنت نحوه تقبله ثم قالت:

ـ تبدو أفضل حالاً! إن بقيت على هذا التقدم تعد إلى المنزل قريباً.

ـ أخبروني بأني سأغادر في غضون أسبوع أو ما شابه، لقد سرّوا لهذا التقدم وهم يؤمنون بأن البقاء في الفراش لمدة طويلة أمر يثقل الجسم ويؤخر تعافيه.

وضعت باقة الأزهار على حافة السرير وناولته إحدى القصص البوليسية التي جلبتها في طريقها ثم قالت:

ـ أحضرت لك هذه الكتب المسلية ليبقى عقلك نشطاً إنما من دون إرهاق.

ـ لقد أصبت بنوبة قلبية، لا عصبية أو عقلية! عقلي سليم والحمدلله.

حملت جوانا كرسياً جلست عليه بالقرب من والدها ثم قالت:

ـ متى نهضت من السرير؟

ـ منذ خمس دقائق فقط، لكني سأعود بعد ذهابك. أردت بنهوضي هذا أن أعتاد على الحياة العادية بشكل تدريجي، وبما أنهم يحتاجون إلى سريري ترينهم يسرعون في مداواتي.

ضحكت ثم قالت:

ـ إنها مستشفى معروفة ومقصودة من دون شك!

ـ نعم صحيح. هل هذه الأزهار من حديقتنا؟

ـ نعم، حسِبْتُ أنك تفضلها على أزهار السوق.

ـ هل لي أن أشمها. آه، رائحتها جميلة جداً. أتعرفين، الأزهار التي تباع في الأسواق تفقد عطرها بسرعة. إنها حقاً جميلة، شكراً لك. قولي، هل قطفتها بنفسك؟

ـ كلها، وقد علقت شوكة في إصبعي لأثبت لك ذلك.

قرّبت إصبعها من وجه أبيها ليرى الشوكة فحدّق إلى تلك النقطة الحمراء وقبّلها وهو يقول: «سلامتك».

أحست بالرعشة واحمرّ وجهها. إنها المرة الأولى التي يُظهر فيها والدها حنانه واهتمامه بابنته الصغيرة. وضعت الأزهار على جانب السرير وراحت تستمع إليه وهو يقول:

ـ أين غراي اليوم؟

ـ لقد ذهب إلى العمل، فهو لم يذهب منذ أن...

وفجأة توقفت عن الكلام لأنها لم ترغب في البوح بأنه لم يذهب إلى المكتب منذ أن أصيب والدها بتلك النوبة.

هزّ جورج رأسه وقال:

ـ حسناً. العمل يجب أن يستمر، وعلى غراي أعباء كثيرة. أظنه أخبرك بذلك.

لم يأتِ والدها على ذكر دان فاستاءت من ذلك وبادرته بالقول:

ـ أراد دان عيادتك لكنه مريض قليلاً وفضلنا عدم مجيئه لأنه يمكن أن يعديك بالرشح.

طبعاً ما قالته ليس صحيحاً، فدان لم يغادر غرفته عندما توجهت إلى المستشفى ولا شك أنه ما زال نائماً يعوّض النقص من جرّاء ما أصابه البارحة فقد شرب حتى الثمالة ومن المؤكد أنه لن يستطيع النهوض باكراً. والأهم أنها لم تشأ أن تلتقي به حين يستيقظ لأنه بلا ريب سيكون حانقاً عليها جداً.

تجهّم وجه والدها:

- لا أعرف ماذا أفعل بدان، هذه هي الحقيقة. كنت أتوقع أن يثوب إلى رشده في وقت من الأوقات. هو ليس بأحمق ولا مبرر لفشله في الشركة التي لا يوليها أدنى انتباه.

نظرت إليه جوانا باستغراب ثم قالت:

- أبي، هل حلمت يوماً أن تصبح رسّاماً؟

أدهشه سؤالها كثيراً فقال:

- ماذا؟ رسّاماً؟ تقصدين فناناً؟ يا إلهي، لا، فأنا لا أعرف شيئاً عن الرسم.

- أتعرف يا أبي أن دان فنان موهوب.

عقد والدها حاجبيه وقال:

- أتريدين القول إنه يرغب في أن يصبح رساماً؟

- لا.

أحسّ بالراحة وراح يقول:

- حمداً لله. لقد أقلقتني لحظات، فأنا لا أعرف شيئاً عن الفنانين ولا أرغب في معرفة شيء عنهم. فهم هواة يعيشون حياة تقشف وبؤس، بل إن الأخلاق لا تعنيهم قط. لقد وضعت علامة استفهام حول دان، إنه ولد طائش ولا يحاول التحسّن.

- لقد تغير حقاً. إنه يريد أن يقوم بشيء مهم في حياته بعيداً عن المكتب. أعتقد أنه موهوب حقاً.

- بماذا؟ بالقمار؟ والشرب؟

ندمت على ابتداء تلك المناقشة فقد أجبرت والدها على الانفعال فحاولت أن تهدىء من غضبه بقولها:

- كنت أعني أن دان سيتغير. لا بد أن يتغير.

اطمأن والدها قليلاً ثم تنهد:

- ليته مثلك. أنا فخور بك جداً وبالحياة التي اتبعتها. ذهبت إلى أمريكا حيث امتهنت مهنة... لقد غضبت منك في بادىء الأمر لكن غراي محق بما قاله، فقد أقنعني بأنك بحاجة لبعض الاستقلالية في حياتك ولو لفترة قصيرة تكتشفين فيها أوجه الحياة قبل أن تستقري. كان يجدر بدان سلوك الدرب نفسه. ربما كنت مخطئاً حين وظفته في الشركة. طبعاً فأنا إنسان مثل سائر البشر وقد أقترف أخطاء دون أن أحسّ بها. لكن بحق الله يا جوانا إنه الآن في الرابعة والعشرين! متى يتوقف عن ذلك التصرف الأحمق؟

انزعجت كثيراً من السلطة التي أولاها والدها لغراي خاصة عليها. إذاً هذا ما قاله غراي لوالدها؟ كما لو أنه أرخى لها الحبل وقتاً طويلاً بحيث يشده حينما يشاء. استاءت من هذه الفكرة كثيراً. هل حاول غراي مراقبتها منذ يومها الأول في نيويورك؟ وهل وظف أحداً لهذه المهمة؟ أم كان يعرف أخبارها من دان الذي زارها مراراً في نيويورك، وقد كتبت إليه رسائل كثيرة لكنها لم تتصل بأي من غراي أو والدها. لا بد أنه استخدم من براقبها عن بُعد طوال السنتين الماضيتين. تمالكت أعصابها وقالت:

- بالنسبة لنيويورك... عليّ أن أعود في نهاية الأسبوع. صديقتي ستتزوج وقد وعدتها بأن أحضر زفافها، وهكذا لن أراك حتى أعود. الثلاثاء القادم على ما أعتقد.

- هل سيرافقك غراي؟

- لا، فهو سيزورك، وكذلك دان. إن احتجت إليّ، يمكنهما الاتصال بي. لا تقلق أبي سأعود قريباً.

ما كانت لتذهب لولا تحسنُ حال أبيها. في ذلك الصباح فكّرت في الاتصال بهاري فوستر لتعلمه بعدم تمكنها من الذهاب لحضور زفاف كارين ولكن الوضع تغيّر الآن. فها هو والدها بخير ولم يعد هناك ما يحول دون ذهابها.

سمعت الجرس ينذر بانتهاء الزيارة فقبّلت والدها وهي تقول:

- سأحاول العودة نهار الاثنين، ما رأيك؟

هز رأسه مبتسماً ولكن نحول جسده وشحوب وجهه أزعجاها. نعم هو اليوم أفضل من البارحة ولكنه ما زال ضعيفاً وشاحباً بعض الشيء.

عادت إلى المنزل في الخامسة والنصف بعدما تبضعت ما تحتاجه وتناولت الشاي في إحدى المقاهي القريبة من السوق. دخلت إلى الصالة فوجدت السيدة براون تمسح الغبار عن الطاولة. سرعان ما انتبهت الأخيرة لوجود جوانا فسألتها:

- كيف حال والدك اليوم؟

- أحسن بكثير.. لقد نهض من السرير وراح يقرأ الصحيفة!

- حسناً. هذه أخبار رائعة. أطباء اليوم يقومون بالمعجزات. هذا ما حصل تماماً في المرة السابقة، حسبته لن ينجو منها وكذلك دان فقد تضايق كثيراً.. وكيف لا يتضايق وهو سبب تلك النوبة الحادة. لقد تشاجر معه كقط وكلب.

- وكيف تسبب دان بتلك النوبة لوالدي؟

- ما كان يجب أن أتفوه بهذه الكلمات لأن لا شأن لي في هذا. كانت تلك إحدى مشاجراتهم. انفعل والدك وأصابته النوبة القلبية. وعلى إثرها، بقي دان دون طعام أيام عديدة فهو يفكر في الأمور كثيراً، أليس كذلك؟

صعدت جوانا إلى غرفتها متجهمة الوجه وراحت تفكر. ألهذا لم يخبرها بأن والدها مريض جداً؟ أكان يشعر بالذنب؟ فلم يرغب في

إخبارها بما سبّبه هو نفسه.

دخلت إلى غرفة أخيها تبحث عنه فلم تجده. متى استيقظ؟ عادت إلى السيدة براون تسألها أين ذهب وفي تلك اللحظة ظهر غراي فانتفض قلبها فرحاً وقالت:

- آه، عدت باكراً.

كان قد خرج قبل أن تستيقظ ولم تتوقع عودته باكراً. فهي تعرف أن دوام العمل لا ينتهي قبل الخامسة ولا بدَّ أن المسافة من الشركة إلى البيت تستغرق وقتاً طويلاً.

نظر إليها طويلاً وأجاب:

- غادرت الشركة بعد وقت الغداء. أنهيت الأشياء المهمة وتناولت الغداء ثم ذهبت إلى دان لأتحدث معه.

- أين هو؟

- آه، لقد ذهب.

اختصر جوابه وتابع سيره نحو غرفته، فلحقت به جوانا مذهولة:

- ذهب؟ ماذا تعني بأنه ذهب؟

بدأ غراي يفكُّ أزرار قميصه وهو يقول:

- سأدخل لأستحم فقد كان يوماً حاراً وشاقاً.

ألحّت جوانا بالسؤال مجدداً ولم تلتفت لما كان يفعله:

- أين دان؟

- لقد ذهب إلى لندن.. سيبقى هناك يومين.

خلع قميصه فراحت عيناها تنتقلان بين كتفيه وصدره الصلب. صحيح أنه يعمل في مكتب لكن جسده أوحى برجولة رياضي متمرن. حين أصبحا في وسط الغرفة، أدركت جوانا أين هي فارتدت بخطواتها إلى الوراء... نحو الأمان.

ابتلعت ريقها وقالت بصوت أشبه بالصدى:

- لماذا؟

وضع غراي يده فوق سحّابه وكاد يفتحه ثم قال:

- أيمكننا التحدث لاحقاً؟ إني أتوق إلى الاستحمام.

احمرّ وجهها فأعطته ظهرها وقالت:

- قل لي فقط، لماذا ذهب إلى لندن؟ أظننا اتفقنا على ألا ندعه وحده حتى يرى طبيباً نفسياً؟

سمعت صوت سحابه فابتعدت أكثر حتى وصلت إلى الباب وهي لا تزال تعطيه ظهرها. سمعته يقول:

- جوانا، لا يمكنك التعامل مع دان وكأنه طفل. إن كان مصمماً على الاستمرار بالمقامرة، فلن يردعه شيء. لكنه الآن ليس وحيداً، فأحد عملائنا كان ذاهباً إلى لندن وهو على علم بمشكلة دان وقد وعدني بأن يبقي عينه مفتوحة عليه. لديه ابن يصغر دان بقليل وهو يعرف كيف يتعامل معه.

سمعته يخلع بنطاله فهمّت بالخروج حين سمعته يقول:

- لقد أخذت لدان موعداً عند أشخاص يعملون بالحفر فإن أعجبهم عمدوا إلى تعليمه المهنة، فهم حرفيون يدويون وأنا متأكد أنه سيتعلم ويستفيد منهم أكثر من المدرسة المهنية.

أوشكت أن تدير وجهها إليه لكنها تذكرت أنه خلع ثيابه فتوقفت والاحمرار يملأ وجهها ثم قالت:

- إنه لعمل عظيم قمت به. وهل ابتهج دان؟

سمعت خطواته تقترب منها ثم همس في أذنها:

- بدا منفعلاً جداً ومتحمساً وقد هبّ كالريح للذهاب مع جون. موعده في الغد الباكر وسنعرف النتيجة غداً مساءً.

- آه، جيد جداً.

اغتبطت للخبر وهمّت بالخروج حين أمسكها من ذراعيها وراح يشدها إليه. صرخت به خائفة:

- ما الذي تفعله؟

راح يعانقها بشوق وهي لا تزال تعطيه ظهرها. كانت تحس بأنفاسه المتسارعة وهو يقول:

- أهذا جزاء ما قمت به؟ ألا تعرفين طريقة ثانية للشكر؟

- ظننتك تريد الاستحمام.

- يمكنني أن أستحم لاحقاً.

ظلّ يشدها بإحكام ثم لفّ يديه حول خصرها وضمّها كالسجينة. احتجّت ثم قالت وهي تحاول الإفلات منه:

- عليّ القيام بأعمال كثيرة.

حبسها لحظات بين ذراعيه القويتين ثم تركها تذهب مهرولة نحو غرفتها.

أسندت جسدها إلى باب غرفتها وقد انقطعت أنفاسها وثار غضبها. كيف يجرؤ على فعل ذلك وهو ما زال مغرماً بكارلا؟ لم تصدق أن علاقتهما قد انتهت رغم إعلان كارلا عن ذهابها إلى أميركا. لا بدّ أنهما على ارتباط وثيق. ربما خانته كارلا لأنه شرد بعيداً عنها. إنها المرة الأولى التي تخالجها الفكرة ولكنها سرعان ما تذكرت كيف تصرفت حين رأته مجدداً في نيويورك.

لقد أحسن مغازلتها في الأيام القليلة الماضية وهو دون شك ماهر في مغازلة النساء! كيف لها أن تثق به وقد أجابت بنفسها على اتصال كارلا؟ إنه إنسان غشاش. كم من النساء عرف قبلها؟ ليس لديها أدنى فكرة عن ذلك، فهو لم يخبرها بشيء حتى أنه لم يخبرها بعلاقته السابقة مع كارلا ولكن لماذا هجرها؟ لأنها خانته؟ ربما لم تخنه يوماً بل كانت ضحيته؟ وكيف تصدقه وهو لم ينطق بكلمة واحدة عن علاقته الأولى أمامها، لكن هل كان والدها يعرف بخطوبته السابقة؟

عادت بذاكرتها إلى أيام لقائهما الأولى فتذكرت أنه لم يكن مهتماً إلا بالعمل وبها. من يصدق أنه كان على علاقة بامرأة أخرى قبل أيام قليلة على تعارفهما؟

لقد تعارفا في حفلة أقيمت في منزلها. كانت جوانا قد أنهت دراستها الجامعية والتحقت بالشركة عند والدها لتعمل مؤقتاً، وقد أوضحت له أنها لن تستمر بالعمل في الشركة ولم يشأ والدها مناقشة الموضوع فهو يؤمن بأن مكان المرأة الأساسي هو المنزل الزوجي. غير أن جوانا كانت تريد الحصول على عمل حتى التقت بغراي الذي ألغى خططها جميعها. أحست بأن والدها يرغب في تزويجها وقد ذكر ذلك أمامها مراراً.

مضت أشهر عديدة على علاقتهما قبل أن يعلن غراي نيته بالزواج بها. كانت جوانا تحبه بجنون وتنتظر زواجهما بفارغ الصبر. وكان هو يحلم بقضاء حياة زوجية سعيدة لأنه كما قال يحبها كثيراً ويحترمها. حين أوضح لها عن نيته بالزواج بها سألها أين تحب أن تعيش:

ـ أتفضلين القرية؟ أرى أن مانشستر تناسبنا أكثر.

لم تحدد جوابها، فهي تحب العيش في أي مكان يسكنه هو. بعد أيام قليلة توقف غراي أثناء تجولهما في أحد الشوارع أمام محل للمجوهرات وقال لها:

ـ أي نوع من الخواتم تفضلين؟

لم تتوقع منه هذه السرعة، فهو لا يتقيد بالعادات والتقاليد بل يتصرف بما يراه مناسباً.

كانت تحترم رأيه وذوقه لكنها الآن تحتقره وتحتقر نفسها لأنها وقعت في قبضته كما تقع الثمرة الناضجة على الأرض. إنه رجل عملي جداً. ما إن تخاصم مع كارلا حتى وجد الفتاة التي تؤمن له ما لم تؤمنه الأولى.. المستقبل الزاهر. منذ ذلك الحين بدأ يراقبها أما هي فكانت في حلم سعيد.

أقفلت باب غرفتها وجلست على طرف السرير. يا لحماقتها! على الرغم من معرفتها الوثيقة به وبعلاقاته ما زالت تحتفظ به داخل قلبها وللأسف لم تستطع طرده أبداً. هل كان يعرف بأنها ما زالت مهتمة به؟

إنه يعرف دون ريب بما يخالجها تجاهه فهي لا تعرف كيف تخفي مشاعرها المتقدة، وقد استسلمت له في الفرصة الأولى وركعت تحت أقدامه. لا، لن تدعه ينال منها مجدداً.

قامت إلى خزانتها فوجدت ما تلبسه. إن كان دان في لندن فهذا يعني أنها مع غراي وحدها، طبعاً باستثناء السيدة براون التي تأوي إلى منزلها ما إن تنتهي من أعمالها. والأهم أنها لن تتمكن من أن تطلب الانضمام إليهما فستستغرب المرأة الأمر طبعاً خاصة وهي تظنهما متحابين متفقين.

كانت تعرف حق المعرفة أنه يخطط لشيء ما ولكنه لن يحقق مبتغاه لأنها لن تنساق وراء عاطفتها.

استحمّت بسرعة وعادت تفكر في المستقبل فهي لن تترك والدها وحيداً. إن حصل دان على وظيفة في لندن فعليها ساعتئذ أن تتخلى عن شقتها في نيويورك لتعود أدراجها إلى موطنها مما يعني بقاء غراي حولها طوال الوقت وهذا يعني المشاكل الكثيرة.

كان عليها رغم غضبها وحنقها عليه أن تشعره بالامتنان للمساعدة التي قدمها إلى دان الذي يطير فرحاً الآن. سرّها ابتهاجه كثيراً لكنه أيضاً أوقعها في مشكلة! فهل ستتمكن من العودة إلى الميدان الذي خرجت منه خاسرة مهزومة؟ كيف تعود وغراي يعلم أن لا سلاح لديها، بل على العكس إنها تحت رحمته لأنها مولعة بحبه حتى الجنون.

بعدما وضعت على جسدها ثوبها الأخضر ذا القبة البيضاء جلست أمام المرآة وراحت تنظر إلى صورتها. يا لها من غبية! من المؤكد أن غراي يعرف أنها في قبضته، فإن عادت إليه، امتلكها إلا إذا اتبعت سياسة تبعدها عنه كلياً.

طرق غراي على بابها قائلاً:

ـ السيدة براون تطلب منا أن نتناول العشاء باكراً الليلة.. لأنها ذاهبة لزيارة شقيقتها وتريد الإسراع.

نزلت إلى غرفة الجلوس حيث تناولت عشاءً خفيفاً مع السلطة. كانت السيدة براون قد زيّنت الطاولة بباقة من الأزهار الحمراء التي قطفتها من الحديقة: أزهار حمراء ذات أوراق خضراء ناعمة.

أثناء العشاء أخبرها غراي بأن والدها عائد.

- والدك عائد إلى المنزل في الأسبوع القادم. أليست أخباراً عظيمة؟ لقد بدأت السيدة براون بتحضير أنواع الطعام المفضلة لديه.

هزت جوانا رأسها وابتسمت:

- بدا اليوم أحسن حالاً. . لم أعرفه للوهلة الأولى.

- إن اضطرّ دان للبقاء في لندن، فهذا يعني أن والدك سيعيش وحيداً. يجب أن نفعل شيئاً في هذا الخصوص.

لم تأكل كثيراً لأنها فقدت شهيتها للطعام وشعرت وكأنها فأرة احتجزت في زجاجة فارغة مرمية في حقل. . . حريتها معها لكنها لا تستطيع الهرب.

راح غراي ينظر إليها مبتسماً ثم أردف قائلاً:

- ستضطرين للعودة إلى المنزل.

أحسّت بالدم يغلي في عروقها. لقد أقلقها وهو يعرف ما يفعل. أمسكت زهرة من المزهرية وراحت تقطع أوراقها بيد مرتجفة. لم تستطع إعطاء أي جواب على الرغم من اتخاذها القرار منذ قليل. ثبّتت نظرها على الأوراق فيما كان غراي يراقبها:

- لن يقوى والدك على العيش بمفرده يا جوانا. لا يمكنني إجبارك على العودة ولكن إن لم تفعلي اضطرّ دان للتخلي عن وظيفته وهي كما تعرفين فرصته الأخيرة.

ألهذا السبب سعى لتحقيق رغبة دان؟ لم يخطر ذلك ببالها من قبل. يا لذكائه! يخطط للأشياء بدقة وحذر.

قررت أن تعود إلى نيويورك دون أن يعرف غراي بذلك لئلا يعترض طريقها. وقد صمّمت على ذلك تحدياً له ولسلطته المفروضة عليها.

فإن كانت ترغب في تقرير حياتها، فعليها البدء منذ الآن والليلة ستعلن استقلاليتها من جديد.

ستذهب إلى نيويورك لأنها اختارت ذلك. . ثم تتوجه إلى منزل صديقتها العروس. ولكن إن عرف غراي بأنها تنوي الذهاب حقاً فسيعترض طريقها بالإقناع، أو بالمداهنة وحتى بالتهديد.

لهذا لن تعطيه هذه الفرصة أبداً. ستتصرف بدهاء يفوق دهاءه. ستقول له إنها مصابة بألم في رأسها وتخلد للنوم. طبعاً، لن يصدق ذلك بل سيرى أنها تتذرع بذلك لئلا تبقى معه وحده غير أنه لن يردعها الآن. بل سيتركها تصعد لتنام، وما إن تقفل بابها حتى تبدأ بحزم بعض الأغراض.

غداً حين يذهب إلى الشركة ستطلب من السيدة براون أن تقلّها إلى المحطة ومن هناك تستقل أول طائرة.

* * *

٩ ـ عندما لا ترحم الغيرة

تنقّلت كارين بين المدعوين وراحت تقبلهم وتتحدث إليهم، أما جوانا فراحت تراقبها وهي تختال بثوبها الأبيض المرصّع الذي كانت كارين قد احتضنت من أجله جدتها التي أعارتها ذلك الثوب القديم الفاخر، فتاريخه يعود إلى ما يزيد عن المئة سنة.

كان الزفاف جميلاً وممتعاً وقد استمرّ حتى ساعة متأخرة من الليل. عزفت الفرقة الموسيقية أجمل أغانيها فصدحت أصداؤها في أرجاء المكان وراح المدعوون يهزجون ويفرحون.

نظرت جوانا إلى العروس فوجدتها في أبهى حلّتها وأحسن حالاتها، ولكن كيف لا تكون كذلك وهو اليوم الذي انتظرته بشغف. اقترب هاري من جوانا ثم قال مبتسماً:

ـ تبدين شاردة الذهن.

ـ آسفة، حقاً؟

لقد حاولت الابتسام مراراً ولكن ذلك تعسّر عليها فهي كانت تحسد كارين التي تشعر بالأمان والاستقرار في حبها لمايك، وليس لديها أية شكوك أو قلق أو حتى غيرة.

عاد هاري يحادثها:

ـ جوانا، أترغبين في الزواج؟

ـ أهذا عرض منك؟

ضحك هاري ثم قال وهو ينفي بكلتا يديه:

ـ آه، عزيزتي، لا، لا! لست ممّن يتزوجون، لكني أظنك أهلاً للزواج. نعم أظن ذلك.

ـ معظم الناس يتزوجون، عاجلاً أم آجلاً.

ـ صحيح لكني لست منهم.

بعد تلك الأحاديث رقصا معاً وخلال الرقصة اقتربا من كارين وزوجها فسألتهما العروس وهي تغمزهما:

ـ أتمضيان وقتاً جميلاً؟

ـ بل رائعاً!

كان هذا واضحاً لكن جوانا أدركت بأن صديقتها ستتغير.. فمن الآن وصاعداً ستبدأ حياتها الزوجية مما يعني أنهما ستنفصلان لوقت طويل وهو أمر طبيعي بالنسبة لامرأة متزوجة ستتولى مسؤوليات جديدة وتقيم علاقات مع أصدقاء جدد. فالزواج هو نهاية وبداية في الوقت نفسه، وهو سنّة الحياة الدنيا.

بعد انتهاء الرقصة، طلبت العروس من زوجها وهاري أن يفتشا عن سيدتين ليراقصاهما وذلك بقصد إبعادهما حتى تتحدث هي إلى جوانا على انفراد. لم يرغب الزوج في ذلك فقالت كارين مبتسمة:

ـ حسناً، اذهب وتحدث إلى والدتك، فهي وحيدة. أنا أريد التحدث إلى جوانا.

قبّل مايك أنفها وقال:

ـ حسناً يا حلوتي. لا تنسي، أننا مغادران بعد نصف ساعة.

ـ وكيف أنسى؟

ـ حين تبدأ النساء بأحاديثهن، ينسين كل شيء.

ابتعد العريس تاركاً جوانا مع عروسه التي رتبت ثوبها الأبيض ثم قالت:

ـ أتعرفين يا جوانا، الزواج متعب حقاً، فأنا لا أعرف رأسي من قدميّ. وكأني أمضيت الأيام الأخيرة راكضة.

ـ تبدين رائعة رغم التعب الذي تحسينه، فالزواج يناسبك حقاً.

ـ صحيح، أظن ذلك.

توقفت العروس عن الكلام للحظات ثم سألتها بجدية:

ـ لكن أخبريني يا صديقتي.. ماذا حصل لوالدك؟ أخبرني هاري منذ قليل بأنه مريض. ليس عندي فكرة! هل الأمر خطير؟

ـ لقد بدأ يتحسن قليلاً، غير أن قلبه ضعيف.

بدا الشحوب على وجه جوانا عندما راحت تخبر صديقتها بتفاصيل الحادثة.

ـ أتعلمين يا كارين، كنت أعتقد أني لن أتمكن من حضور زفافك، لكنه تحسّن قليلاً في الفترة الأخيرة. تركت اسم هذا الفندق ورقم هاتفه مع عامل الاستعلامات في المستشفى وكذلك مع المسؤولة عن منزلنا حتى يتصلوا بي في حال حصول أي مكروه. وعلى كل الأحوال أنا راجعة إلى مانشستر غداً صباحاً. آسفة بشأن هاري الذي وعدته بقضاء عطلة الاسبوع برفقته، لكني مضطرة للاعتذار عن ذلك.

هزّت كارين رأسها وقالت:

ـ طبعاً. لا شك أنك قلقة جداً. أشكر لك مجيئك وأنت في هذه الحال.

ثم انحنت وقبلتها على وجنتيها وتابعت تقول:

ـ جوانا، أشكرك على سلة الفواكه الفضية. سنحتفظ بها ذكرى.

ـ وستبقين على اتصال بي؟

ـ دون شك. لكن أخبريني جوانا، ماذا ستفعلين الآن؟ لن تبقي في نيويورك إن كان والدك مريضاً إلى هذا الحد؟

ـ لا، طبعاً. أعتقد أن عليّ العودة نهائياً إلى المنزل.

ـ يا للأسف، أعرف كم تحبين الحياة في نيويورك ولكن العائلة هي العائلة.

ـ هذا صحيح!

لم تكن جوانا تُطلع كارين على كل مشاكلها وهذا الوقت غير مناسب لحديث كهذا. غير أن العروس تابعت تقول:

ـ سيصاب هاري بخيبة أمل، فهو معجب بك وقد ظنّ أنه سيحظى برفقتك الليلة!

ضحكت جوانا ثم قالت:

ـ يا لسوء حظه! لا تقلقي سيتدبر أمره ففي البحر سمك كثير.

استمرّت الحفلة وقتاً طويلاً بعد خروج الزوجين إلى قضاء شهر العسل. فالفرقة الموسيقية تابعت عزفها والناس استمروا في الهزج والمرح والمسامرة. بعد انتهاء الحفلة، سارع المدعوون لتهنئة والدي كارين ووداعهما ثم خرجوا جماعات جماعات.

تمتمت جوانا في أذني هاري:

ـ أعتقد أنه علينا الذهاب.

ثم نظرت إلى ساعتها فوجدت أنها تجاوزت العاشرة:

ـ عليّ الخلود إلى النوم باكراً لأنني مسافرة غداً.

قطّب حاجبيه وقال مستغرباً:

ـ ما زال الليل في أوّله! حسبت أننا ذاهبان للرقص في مكان آخر الليلة.

وافق أفراد المجموعة على ذلك وأبدوا حماسهم قائلين:

ـ فكرة رائعة! هيا بنا إذاً!

ردّت عليهم جوانا:

ـ عذراً لا أستطيع.

حاولوا أن يقنعوها بالسهر معهم:

ـ لن نراك مدة طويلة! هذه آخر أمسية لنا معاً.. هيا جوانا هيا!

تدخل هاري قائلاً:

ـ الأفراح تشعرني بالكآبة، وأنا بحاجة لمن يخفف عني الليلة.

ضحكت جوانا وقالت:

ـ أنا متأكدة بأن ثمة شخصٌ ما سيقوم بذلك! إحدى فراشاتك الجميلات!

قهقه الجميع بصوت عال ثم راحوا يقولون:

ـ السيد الضفدع وفراشاته! لا شك أن إحداهن ستأتي لتطنّ في أذنيك حالاً!

نظر هاري بحزن إلى جوانا وقال:

ـ لكنني أريدك أنت يا جوانا.. الليلة فقط.. نمضي أمسية رائعة معاً. هيا.

ـ كنت أود ذلك لكني لا أستطيع.. ليس الليلة. في وقت آخر ربما نتناول العشاء سوياً ونتحدث عن كل الأشياء. لقد كان يوماً شاقاً وأنا متعبة جداً. يجب أن أنام باكراً.

ـ حسناً، لكني سأقلك إلى الفندق الذي تنزلين فيه، فأنا أنزل هناك أيضاً.

ـ هذا لطف منك هاري.

أثناء عودتهما، أخبرها أنه لم يكن يرغب في الإلحاح عليها ولكنه اضطرّ لفعل ذلك أمام أصدقائه بقصد إغاظتهم. أمضيا الوقت وهما يتحدثان عن الكتب والمسرحيات والأفلام ولم يتطرق هاري إلى الحديث عن موضوع العواطف أو ما شابه.

حين وصلا إلى الفندق، رافقها إلى باب غرفتها وهناك طبع قبلة على وجنتيها وهو يمسكها من كتفيها وكأنه قائد عسكري يمنح جنديّه وسام الشرف. ثم قال:

ـ لا تنسينا يا عزيزتي.. سنشتاق إليك كثيراً. هل ستبقين على اتصال؟ ستراسلينا دائماً؟

هزت رأسها مبتسمة ثم قالت:

ـ طبعاً، إن كنتم سترُدّون على رسائلي.

ـ لا أعرف عنوان منزلك، هل يمكنك إعطائي إياه الليلة؟ وهكذا

أذكّرك بمراسلتي إن نسيت!

ضحكت كثيراً ثم فتحت حقيبة يدها والتقطت قلماً وورقة وراحت تكتب عنوانها. بعد ذلك دخل هاري إلى غرفتها وأغلق الباب بقدمه لكنه لم يقفل. لم تشعر بقلق من وجوده في الغرفة فقد وقف يراقبها وهي تدوّن العنوان بهدوء.

ما كان أصدقاؤه ليصدقوا بأن علاقتهما أفلاطونية! فهو معروف بعلاقاته العاطفية الواسعة الأفق. والرجال عموماً يسيطر عليهم طابع الإنانية. وها هاري يفتخر بنفسه لأنه يحمل لقب العاشق العظيم. لكنه الآن قد ملّ هذه الأشياء رغم عدم قدرته على الإقلاع عنها، فقد أصبح كالمدمنين. مسكين هاري!

أعطته الورقة فحدّق إلى ما دوّن عليها ثم طواها ووضعها في محفظته قائلاً:

ـ أتمنى لك رحلة آمنة إلى إنكلترا غداً. وداعاً يا صغيرتي. أتمنى أن تتحسن حال أبيك عند وصولك.

كان الفندق خالياً تقريباً من النزلاء كما لاحظا عند دخولهما وها هو الآن هادىء وساكن مما اضطرهما لإخفات صوتهما لئلا يزعجا النزلاء النائمين. اقتربت جوانا منه ولثمته على خده ثم قالت:

ـ عمت مساء هاري. أتمنى لك ليلة هادئة وجميلة.

ـ عليَّ أن أنضم إلى سائر المجموعة لئلا يتوهمون أشياء. تعرفين ما أقصد!

أمسك الباب يهمُّ بالخروج لكنه توقف وقال:

ـ الآن يمكنك أن تنامي.

في تلك اللحظة بالذات دفع أحدهم الباب بقوة فتعثّر هاري ووقع فوق جوانا التي اضطربت وقامت تسوّي نفسها أما هاري فابتعد نحو حائط الغرفة والذهول بادٍ على وجهه ثم عاد واقترب منها ووضع يديه حولها يضمّها وهو يقول:

- عزيزتي! هل أصابك مكروه؟ أنت بخير؟
- ماذا...

كانت تهمُّ بالسؤال حين لمحت عيناها أحدهم واقفاً في عتبة الباب. حاول التخفيف عنها فقال:

- إنه أحد السكارى.

كانت عينا جوانا تحدقان إلى الرجل الواقف في الباب، فشحب وجهها ثم امتقع ولكن هاري أمسكها وصحبها إلى وسط الغرفة وهو يحدق إلى غراي روسمور قائلاً:

- تعالي يا جوانا. أنا سأعرف كيف أتعامل معه.

حدث أن رآه مرة لكنه لم يعرفه الآن. لم تستطع جوانا الكلام أو حتى الحراك فقد كانت مذعورة جداً. ما الذي حمل غراي على المجيء إلى هنا؟

تمتم هاري يسأله:

- يا سيد، أرجوك ارحل قبل أن أستدعي أمن الفندق. هيا.

أدار غراي وجهه ونظر إلى جوانا ثم قال:

- أريد أن أتحدث إليك.

قطب هاري حاجبيه ونظر إليها ثم سأل:

- عزيزتي، تعرفينه؟

احمرَّ وجهها ثم بدأت تقول: «نعم.. إنه...»

قاطعها غراي وصرخ قائلاً:

- أخرجي صديقك من هنا قبل أن أهشّم له وجهه!

تجهّم وجه هاري وقال:

- أعتقد أني رأيته من قبل؟ نعم! في فندق الكارليل تلك الليلة. إنه الرجل الذي كنت تتناولين العشاء برفقته؟

- آسفة هاري.. يجدر بك الذهاب الآن. عليَّ أن أتحدث إليه.

- هل أنت واثقة من ذلك، حبيبتي؟

قاطعه غراي قائلاً:

- عليها أن تتحدث إليّ شاءت أم أبت.

حملق هاري في وجهه ثم نظر إلى جوانا قائلاً:

- إنه سيء المزاج.

رمقه غراي بنظرة حادة ثم قال:

- حسن أنك أدركت ذلك بنفسك.

ثم نظر إلى جوانا وصرخ بصوت جعلها تقفز من مكانها:

- أخرجيه من هنا قبل أن أفعل ذلك بنفسي!

اقترب هاري منه يردُّ عليه:

- يا سيد، عليك أن تحسُن ألفاظك!

رأت جوانا الغضب متأججاً في وجه غراي فقامت تفصل بينهما وهي تقول:

- هذا يكفي! كيف تجرؤ على المجيء إلى هنا فتصرخ وتتوعد؟

قال هاري وهو يحاول كبت أعصابه:

- دعيه يا عزيزتي، لا أخافه. فليحاول ضربي فقد تعلمت الملاكمة في المدرسة!

- لا، لا أريد أي قتال هنا.. هاري، اخرج من فضلك. لا تقلق بشأني، سأتدبر الأمر.

كانت تشكُّ في كلامها لأنها تعلم أن الأمر سيكون صعباً للغاية.

تمتم هاري قائلاً:

- أتعتقدين ذلك؟ أشك في الأمر. على أي حال، سأنصاع لرغبتك. لكن إن احتجتِ إليّ فما عليك سوى مناداتي، فأنا في الغرفة المجاورة.

استمع غراي إلى كلامه مقطباً حاجبيه الأسودين. ولكن جوانا تجاهلته وقالت لهاري مبتسمة:

- شكراً لك. سأتذكر ما قلته.

هزّ هاري رأسه ثم نظر إلى غراي:

ـ يا سيد، حاول أن تسيء إلى جوانا ترَ كيف أعالج الموضوع معك شخصياً!

لم يشأ غراي أن يرد عليه بل اكتفى بأن أمسك بالباب يفتحه على مصراعيه وهو يشير له بإصبعه خارجاً. فكان أن خرج هاري وهو يتمتم وأغلق غراي الباب بقوة.

انفجرت جوانا غاضبة والخوف يملأ قلبها:

ـ كيف تجرؤ على معاملة صديقي بهذه الطريقة؟

ـ صديقك؟

ـ بالمناسبة، ما الذي حملك إلى نيويورك؟ أتلاحقني؟

صمتت قليلاً فاعتمر الاحمرار والخوف وجهها ثم أضافت:

ـ هل والدي...

قاطعها غراي قائلاً:

ـ ما زال على قيد الحياة.. أيهمك كثيراً؟ لو كان هذا صحيحاً لما تركته بهذا الحال وأسرعت إلى هنا لملاقاة صديقك الأمريكي!

ـ لا تصرخ بي هكذا!

حدّقت إليه طويلاً وهي تفكر. من يحسب نفسه؟ وكيف يعاملها بهذا الأسلوب؟ وما الذي يجعله واثقاً من قدرته على منعها من القيام بما تريد؟ هل كان يراقبها من خلال منظاره الأخلاقي؟ إن كان يظنّ نفسه قادراً على التحكم بها وبحياتها فهو حقاً مخطىء.

نظر إليها وكأنه لا يصدق ما رأى:

ـ كيف تفعلين ذلك؟ أتيت إلى هنا لقضاء العطلة معه. أهو عشيقك؟

ـ لماذا لا تهتم بشؤونك الخاصة؟

ـ هذا شأني أيضاً.

ـ آه، لا، أبداً!

ـ اللعنة عليك، قلت إنه شأني!

علا صراخهما في أرجاء الفندق ولا شك في أن هاري سمعهما، ولأنها لم تشأ أن يعود هاري ليدافع عنها، ولأنها خافت أن يطردهم المسؤول عن الفندق أو يستدعي الشرطة فيقودونهم جميعاً إلى المركز وهم مكبلو الأيدي بالأصفاد همست بصوت خافت:

ـ اهدأ! كيف تجرؤ على الدخول إلى غرفتي وإثارة كل هذا الشغب؟ لم أطلب منك المجيء ولا أريدك حولي في أي مكان، ولهذا اخرج الآن!

اقترب منها وانحنى عليها وكأنه يهدد ثم قال:

ـ هل نمت مع ذلك الأمريكي؟

اشتعل وجهها بالاحمرار وصفعته على وجهه.

تراجع غراي وقد ظهرت على وجهه آثار الصفعة فأحسّت جوانا بأنه سيضربها لكنه أمسكها من كتفيها وهزّها بقوة وقال:

ـ هذا ليس جواباً! أخبريني الحقيقة!

ـ لن تحظى مني على أي جواب سواه! بأي حق تستجوبني في أمور حياتي الخاصة؟ فأنت لم تخبرني بشيء عن حياتك، أم فعلت؟ ومع هذا فأحداث حياتي لا تساوي شيئاً أمام أحداث حياتك.

لم يتركها تذهب بل ظلّ يمسك بها متجاهلاً مقاومتها للإفلات ثم قال:

ـ أحاول ألا أفقد صبري معك!

قهقهت عالياً حين سمعت تلك العبارة الرائعة: «ماذا؟»

ـ لكني أريد الحقيقة. هيا أجيبني!

ـ ولماذا عليَّ ذلك؟

بدت كلماتها شديدة الخطر فقد زادت من غضبه وجعلته كمن يصبّ الزيت على النار.. انفجر قائلاً:

ـ كيف تسمحين له بالاقتراب منك؟

امتزج صوته بالغضب وراح يهزها من كتفيها بقوة جعلت شعرها يتطاير فوق المكان فأغمضت عينيها ثم قال:

ـ كم أود أن أقتلك!

نظرت إليه جوانا من بين شعرها المتطاير على وجهها وقد آلمتها معدتها كثيراً. لو لم تكن تعرف أنه مخادع وكاذب ومنافق لصدّقت ما قاله لتوّه.

تمالك أعصابه ثم عاد يسألها بهدوء:

ـ جوانا، أنت تعذبينني.. أخبريني الحقيقة. لماذا جئت لملاقاة ذلك الشاب؟ لست مغرمة به، لا يمكنك.

ـ ولِمَ لا؟ هاري شاب رائع، والنساء يعجبن به.

صرَّ على أسنانه من شدة الغضب وقال:

ـ أنت تمزحين بلا ريب! ذلك الأحمق الصغير؟ ذلك الثعبان؟

ـ إنه يعرف كيف يجتذب النساء إليه.

لم يصدق كلامها فقال:

ـ لا أصدق هذا... حتى وإن كان صحيحاً، فأنا لا أؤمن بأنك تُعجبين به.

ـ ولِمَ لا؟

ـ لأنك تنتمين إلي أنا، تعلمين ذلك جوانا.

شحب وجهها وقالت:

ـ آه، لا، ليس صحيحاً. فأنا أكره أن أراك.

ـ لا.

اقتربت يداه لتصفعانها لكنه لم يستطع بل أمسكها بقوة وشدّها إليه وراح يعانقها بدفء وحنان وشغف رافضاً أن يتركها تبتعد عنه. كان في عناقه إلحاح وإصرار فهو يريد منها أن تستسلم له وهذا ما حدث فقد استسلمت له على الرغم من مقاومتها العنيفة ونسيت في تلك اللحظات كرهها له وما كانت تفكر فيه منذ دقائق قليلة. كانت قد قرّرت ألا تدعه

ينال منها هذه المرة لأنها تعرف السبب الذي يجعله يتعقبها وتفهم سبب غضبه من رؤيتها بصحبة رجل آخر. كل ذلك لأنه يريد ما سوف تمنحه إياه من مستقبل رغيد إن هو تزوجها، الشركة والمال والمركز. لم يكن يرغب فيها لشخصها. فهو مغرم بكارلا هايز، هذا إن كان عنده قلب.

نظر إليها وابتسم وكأنه يقول: «انظري كيف انتصرت عليك». ولولا معرفتها به لظنّت أنه يحبها حقاً، لكن الحقيقة واضحة كالشمس.

ـ ستتزوج حالاً، قبل أن يخرج والدك من المستشفى. فهو لا يستطيع تحمّل مهام الزفاف ومن الأفضل أن تحقق ما خطر في باله دون إطلاعه على عدم فهمه الأمور على حقيقتها.

ابتلعت جوانا ريقها وقد تجمّد الدم في عروق وجهها وقالت:

ـ لا!

أكان يظنُّ أنه ربح الجولة الأولى؟ لكنه سرعان ما سيعرف أنه مخطىء. وللمرة الأولى، سيواجه غراي روسمور الفشل، وسيكون ذلك على يدها هي!

نظر إليها بحنان وراح يؤكد ما قاله:

ـ بلى، جوانا. لا تضيّعي علينا الوقت بالمجادلة والنقاش.

ـ أتظنني مغفلة؟ أتعتقد أني نسيت كارلا هانز؟ لا، لم أنسها. لن أشاركها بك، أبداً. من الأفضل أن تثوب إلى رشدك يا غراي! لن تتزوجني أبداً!!

* * *

١٠ ـ الحب فقط

حدّق إليها غراي وكأنه لا يصدق ما سمع وقال:

ـ كارلا؟

ـ لا تدّعي أنك لا تستوعب ما قلت! فما زلت على علاقة بها... وقد اعترفت بذلك البارحة. اتصلت بك وخرجت لملاقاتها، بل بقيت الليل كله معها وحين أخبرتك بأني أعرف بعلاقتكما لم تنكر شيئاً.

ـ قلت لك إني أمضيت الليلة في الخارج.. لكني لم أقل مع كارلا؟

ـ كارلا هي التي اتصلت بك. فقد تكلمت معها... وأعرف أنها هي.

وجد لنفسه كرسياً جلس عليه ثم تنهد بعمق قائلاً:

ـ اجلسي جوانا.

ـ لا، لن...

ـ اجلسي!

أحسّت به يكاد يميّز غضباً وشعرت بالخوف الشديد. حاولت أن تخفّف من حدّته لأنه بدا متجهماً ومهدداً، وعلى أية حال، عليها أن تستمع إلى دفاعه ولكنها لم تكن تنوي تصديق كلمة مما سيقوله، فهو مخادع وغشاش. وبما أنه يجدر بها الاستماع إليه، اقتربت من السرير بهدوء ورزانة وجلست على طرفه بحيث تصبح بعيدة عن غراي إن حاول الإمساك بها. فالسرير ليس مكاناً آمناً حين تكون وحيدة مع غراي

روسمور.

راقبها بإمعان ثم بدأ يقول وهو يظهر تكشيرة حادة:

ـ حين أخبرتك لماذا فسخت خطوبتي من كارلا هانز، احتفظت لنفسي بأحد الأشياء المهمة.

ـ لاحظت ذلك.

ـ لا تقاطعيني! فأنت تريدين معرفة القصة كاملة.. وأنا.. سأروي لك الحكاية بكل تفاصيلها، لكني لا أريد أية مقاطعة! اتفقنا!

ـ حسناً.

ـ والآن، أين وصلت في الكلام؟ آه، نعم. لم أقل لك اسم الرجل الذي كان على علاقة بكارلا، خطيبتي السابقة... أنت تعرفينه و....

ـ أعرفه؟

ـ ماذا قلت منذ برهة؟ لقد قاطعتني من جديد. يمكنك أن تقولي ما عندك حين أنتهي، أما الآن فالتزمي بالصمت بحق الله!

ـ لا داعي لهذا الصراخ! حسناً، تابع.

ـ شكراً لك. لم أرغب في أن تعرف زوجته القصة، فهو أب لولدين! وقد وعدته بألا أخبر أي كائن بشري بذلك. هيا جوانا عديني ألا تتفوهي بكلمة واحدة لأيٍّ كان.

ـ أعدك.

لم تعجبه التكشيرة التي اعتلت وجهها فنظر إليها بريبة وقال:

ـ إنه إيريك بارنز.

ـ ماذا؟ إيريك؟

لم تصدق ما سمعت. فزوجة إيريك روث، امرأة جميلة وشابة وجذابة، وقد أنجبت له ولدين وهم جميعهم سعداء. كانت جوانا تفضّل دوماً روث على إيريك الذي كان رجلاً مملاً منطوياً على ذاته ومنغمساً في أعماله فقط. إنها لا تصدق أنه قد يكون على علاقة

بكارلا، فهو ببساطة لا يناسبها وليس من الصنف الذي يستهويها، بل لم يخطر ببال جوانا قط أنه غير مخلص ومخادع.

ـ قلت لك إني كسرت له أنفه.. ألم تلاحظي أن أنف إيريك غير طبيعي؟ فهو لم يتحسن رغم المعالجة الدائمة.

أدركت فجأة أنه على حق علماً أنها لم تفكر في هذا قط. لكنها أثناء الحفلة في منزل إيريك، لمحت أنفه غير سليم وقد تساءلت يومذاك عن السبب فظنّت أنه كسره وهو يلعب الجيدو.

ـ حقاً، لاحظت ذلك لكني خلته كسره وهو يلعب الجيدو أو أي رياضة أخرى.

ـ لا، أنا الذي كنت السبب في ذلك.

ـ ذلك لا يثبت أي شيء. يمكنك خلق أية قصة وإخباري بها.. كيف لي أن أعرف أنها الحقيقة؟ إن كان إيريك بارنز هو عشيق كارلا، فلماذا استمريت في مصاحبته؟ لم أشعر يوماً أنك تكرهه وقد خلته صديقك المفضل.

ـ لقد كان فيما مضى صديقي المفضّل وقد حضرت ولادة ابنه الأول أما زوجته فقد وجدتها وما زلت أجدها امرأة رائعة ومحبوبة. عندما عرفت بعلاقته بكارلا تشاجرت معه وتعاركنا بعنف كما أخبرتك وانقطعت عنه أسابيع عديدة، لكننا كنا نلتقي في اجتماعات عمل أو في النوادي فكنت عندما أذهب إلى الغولف ألتقي به أو عندما أذهب إلى المقهى ألتقي به أيضاً. وفي الواقع لم أتمكن من الابتعاد عنه كلياً لئلا تشك روث في الموضوع فهي تعلم أن صداقتنا عميقة ولا أنكر أن أفكاراً غريبة راودتني. أدركت أن كارلا هي المُلامة الأولى، فليس إيريك من النوع الذي يهوى الخيانة وتحطيم الحياة الزوجية. لا شك أن كارلا هي من أغرته وأوقعت به، فهو يحب عائلته وزوجته كثيراً. وقد أقسم لي فيما بعد بألا يرى كارلا مجدداً، فكل شيء انتهى و...

حدّقت إليه جوانا بدهشة ثم قالت:

ـ لكنها كانت في حفلة إيريك وروث!

ـ إذاً، التقيت بها هناك؟ أليس كذلك؟

هزت جوانا رأسها وتابع غراي يقول:

ـ أخبرني إيريك بهذا في الليلة التي اتصلت بها كارلا تطلب رؤيتي.. فقد كانت بحاجة لمساعدتي. كان إيريك عندها وقد هوى إلى الأرض فجأة ولم يعد قادراً على الوقوف وبدا هاذياً وفاقداً للوعي. ظنّت كارلا أنه يحتضر فلم تعرف ماذا تفعل. وعندما ذهبت إلى هناك وجدت إيريك مغمىً عليه وحرارته مرتفعة. وضعته عندها في سيارتي بعدما دثّرته ببطانية لأنه كان عارياً ثم صحبته إلى مستشفى قرب النادي وأخبرت الأطباء هناك بأنه وقع أرضاً حين كان يستحم في النادي بعد ممارسة الرياضة. أعتقد أنهم صدقوا ما قلت لهم لكني وجدت صعوبة في إقناع روث بالطبع لذا كان عليَّ تحويل القصة إلى دراما حقيقية. بقيت في المستشفى حتى وقت متأخر، وقد أخبرني الطبيب المختص بأن إيريك مصاب بالتهاب حاد في الرئة ولا شك أنه التقط العدوى من شخص آخر ومن الممكن أن يتفاقم وضعه ويصاب بالتهاب رئوي.. إن لم تتم معالجته بسرعة. بعد أن اطمأن قلبي عليه، عدت إلى منزله لأرى روث التي أصرّت عليَّ حتى أصحبها إليه لتسهر الليل إلى جانبه لكني طلبت منها أن تنتظر ريثما تتصل بأمها وتأتي لتبقى مع الأولاد. فكان أن انتظرتُ حتى وصلت الأم وبعدها اصطحبت روث إلى المستشفى وكانت الساعة قد أوشكت على الثالثة.

صدّقت جوانا القصة برمّتها، فمن غير المعقول أن يخترعها غراي بهذه السرعة وبهذه الدقة. إضافة إلى هذا كله، فقد تورّط أشخاص كثيرون في الحادثة لذا من غير المعقول أن تكون كذبة.

بعد سماع القصة قالت جوانا:

ـ إذاً، عاد إيريك لرؤية كارلا.

تجهم وجه غراي فقال:

ـ لقد كذب إيريك علي. لم يعرف ما كان يقوله حين كان مغمى عليه، فراح يهذي بأشياء عديدة. مثلاً كيف التقيت أنت بكارلا التي تعمّدت هذا اللقاء لا بل أجبرت إيريك على دعوتها إلى الحفلة. لم يرغب إيريك في ذلك لكنها حاولت ابتزازه وتهديده بإطلاع روث على علاقتهما إن هو لم يفعل ما طلبتْ منه وأخبرته بأن يدّعي أمام زوجته أن عارضة الأزياء المشهورة هي زبونة لدى زوجها، فلم يخطر على بالها أي شيء آخر لأنها تؤمن بأن زواجهما رائع.

ـ مسكينة روث!

نهض غراي عن كرسيه واقترب منها فأحسّت جواناً بأنه ينوي شيئاً خاصة حين رأت تلك النظرة في عينيه.

قال غراي وهو يجلس إلى جانبها:

ـ في تلك الليلة، رأيت كارلا للمرة الأولى منذ سنتين.

ابتعدت عنه وهي تقول:

ـ لا بدّ أن إيريك بقي على علاقته بها في تلك الفترة. كيف يفعل ذلك بزوجته؟

أحسّت بالأسف على روث التي ماذا سيكون شعورها عندما تعرف الحقيقة؟ ثم تابعت تقول:

ـ كيف يفعل ذلك بها؟

ـ وحده الله يعلم! لقد غضبت منه كثيراً حتى كِدْتُ أطلع روث على الأمر كاشفاً الحقيقة أمام عينيها. فهي لا تستحق رجلاً مثله ولكنني لم أستطع إخبارها لئلا تصاب بخيبة أمل أو حتى بنوبة عصبية. أظنُّ أنه كان يجدر بي إخبارها، لا أدري.. كل ما أعرفه هو أني لم أستطع.

ـ آه، لا طبعاً لا يمكنك! لكن ليس عدلاً أن ينجو بفعلته. سنوات من الغشّ والخداع! كان يعلم طبعاً بأن كارلا تدبر لنا...

توقفت فجأة وقد التقت عيناها بعيني غراي الذي قال:

ـ نعم. أخيراً عرفت أن إيريك وكارلا جديران بالشكر. فقد قال أشياء كثيرة ترضي ضميره أثناء هذيانه. لا ألومه، فهو مسحور بها إلى درجة الاستعداد للقيام بأي شيء لكي يرضيها. إنه رجل عادي ينقصه الذكاء والحيلة، فالعمل الدؤوب وحده لا يكفي، لقد كان أباً صالحاً وزوجاً محباً في البداية، لكن ما إن تعرّف إلى كارلا حتى أصبح مختلفاً. كان يحسب أن لقاءه بكارلا لمجرد التسلية لكنه سرعان ما اكتشف أنه مدمن عليها رغم إيماني بأنها لا تستحق الحب الحقيقي.

نظر إلى جوانا فلاحظ أنها قلقة وغير مطمئنة ثم سمعها تقول:

ـ من الأفضل أن تذهب.. فالوقت متأخر وعليَّ النوم باكراً لأتمكن من النهوض في الصباح الباكر والعودة إلى مانشستر.

ـ لقد أخبرتك الحقيقة والآن أريد سماع الحقيقة الأخرى منك. ما الذي يحصل بينك وبين الأمريكي؟

نظرت إلى الأرض وقالت:

ـ نحن صديقان.. هذا كل شيء.

ـ أصدقاء فقط؟

بدا في صوته ريبة وشكاً. فنظرت إليه ثم قالت بتشديد:

ـ هذا كل شيء! لم نكن هنا وحدنا.. لقد جئنا مع سائر المجموعة. فصديقتنا أقامت حفل زفافها الليلة وقد حضرنا الاحتفال جميعاً. ذهب الآخرون للسهر في أحد الأماكن أما أنا فضّلت العودة إلى الفندق باكراً وقد أصرّ هاري على اصطحابي إلى هنا ليطمئن عليَّ، على أن يعود بعد ذلك لمشاركة أصدقائه الرقص والسمر.

استمع إليها غراي ثم عاد يسألها:

ـ ألا يعجبك؟

ـ هاري يعشق امرأة كل يوم، فهو جذّاب وقادر على إغواء أية شابة مع أنه ملَّ من ذلك. مسكين هاري! أنا مجرد صديقة بالنسبة له، ولم يحدث أن حدث شيء بيننا.

www.liilas.com

- جذّاب وقادر على إغواء النساء؟ أنت تمزحين!
- لستَ امرأة لتشعر بذلك.
- صحيح، أتريدين التحقق؟
ابتعدت عنه وقالت:
- أريد أن تخرج من سريري! فقط ارحل!
- ما زال عندنا أشياء كثيرة نناقشها.
- لا شيء نناقشه!
- لماذا لم تخبريني بأنك قادمة إلى نيويورك لحضور زفاف صديقتك؟ لماذا رحلت وحسب؟
- أخبرت والدي كما أخبرت السيدة براون التي تركت عندها عنواني في حال حصول طارىء.
- لم تخبريني أنا! لماذا جوانا؟
- ولِمَ عليَّ ذلك؟ لست مجبرة على إطلاعك على كل شيء! فأنا حرة بحياتي. أذهب متى أردت وأعود متى شئت.
ربما استطاع إقناعها بأنه ليس على علاقة بكارلا مجدداً ولكنه لن يتمكن من إقناعها بأنه يحبها ويرغب في الزواج بها لشخصها هي. فهو حتماً يريد الاستيلاء على شركة والدها وقد وجدها الوسيلة الأسرع.
حدّق إليها طويلاً ثم قال:
- أكنت تحاولين إثارة غيرتي؟
اشتعل وجهها نقمة عليه ثم قالت:
- لم أقصد ذلك البتة! فلم أخبرك بذهابي لأني كنت واثقة من أنك ستحول بيني وبين ذلك.
- تقصدين أنك تعرفين أني لن أحبّذ فكرة قضاء العطلة مع صديقك الأميركي؟
- أقصد أني لم أرغب في إثارة المشاكل إن عرفت بعودتي إلى أمريكا.

- هذا يؤدي إلى النتيجة نفسها. فقد عرفت أني لن أكون مسروراً بذهابك مع رجل آخر!
- طالما فعلت ذلك في السنتين الماضيتين دون إعلامك بأي شيء!
تجمد الدم في عروقه وحدّق إليها غاضباً ثم قال:
- جوانا، أكان هناك شخص آخر؟
لم تستطع النظر في عينيه لئلا يعرف ما يجول في فكرها، فهي لم تعرف سواه طوال تلك المدة، لكنها لم تشأ أن يدرك ذلك حتى لا يهيمن عليها من جديد.
أمسكها من ذقنها بإحدى يديه ثم رفع رأسها ليضطرها إلى النظر في عينيه ثم قال:
- جوانا، أنا أحبك.
أحسّت بألم حاد في صدرها. قالت:
- لا تكذب عليَّ! فأنت تريد شركة والدي لا أنا!
- لكنني أملك شركة والدك.
حدّقت إليه بعينين ذاهلتين وأحسّت بصدمة عنيفة تجتاحها لم تستطع معها السؤال عما يقصد. تجهّم وجهه وبدا عليه العبوس ثم قال:
- لقد امتلكتها منذ ثلاث سنوات. فقد اشتريت عدداً من الحصص قبل أن أنضم للعمل في الشركة، ومنذ ذلك الحين رحت أضاعف أسهمي الخاصة. وعندما قررت أن أتزوجك، اقترحت على والدك أن يبيعني بعض الأسهم الإضافية لكي أتمكن من تقوية الشركة والإشراف عليها. لم نناقش قط فكرة إدارة الشركة من قِبل دان. ليس السبب عدم رغبته فيها إنما لأن عقله غير ثابت فهو متهور ومراهق ولا ينفع ليكون رجل أعمال وقد عرف والدك ذلك جيداً. حين أخبرته أني أرغب في الزواج بك وافق أن يبيعني حصتك التي كنت سترثينها عنه. لم يفهم والدك لماذا فعلت ذلك حتى أوضحت له بنفسي أني لا أحب أن يقول

الناس إني تزوجت ابنة جورج لستر من أجل الحصول على مالها وشركتها.

عضّت على شفتها السفلى وقالت وهي ترتجف:

- ولماذا لم تخبرني بذلك؟

- كنت سأخبرك... أردت أن أقدم لك تلك الأسهم هدية يوم زفافك.

أغمضت جوانا عينيها ثم قالت:

- آه، غراي، يا لحماقتك!

- نعم، كنت أحمق حين ظننت أنك تثقين بي. لم يخطر ببالي أنك ستشكين في حبي لك، بل لم أفكر أنك تعتقدين أنني أقدم على الزواج بك طمعاً بشركة والدك، كنت أحمق حقاً حين اعتقدت أنك تحبينني حباً خالصاً خالياً من الشكوك والأوهام. لكن ما إن التقيت بكارلا حتى بدأت الشكوك تعبث بك وبقراراتك. كل شيء كان على أحسن ما يرام حتى ذلك الحين، لكنك تغيرت فجأة كما لو أن السماء الزرقاء الصافية تحولت إلى إعصار ضربني بقوة وقبل أن أعلم بشيء، رحلت.

- لكنك لم تلحق بي، فسّر هذا تفضل.

- ماذا أفسر؟ فأنا لم أعرف أنك التقيت بكارلا لأنك بكل بساطة لم تطلعيني على ذلك. تذكري أنك لم تقولي شيئاً حين سألتك، بل اكتفيت بالبوح بأنك تكرهين رؤيتي ثم رحلت. وبعد الأشياء التي تفوهتِ بها عني، بقيت مصدوماً مصعوقاً عدة أسابيع حتى استعدت وعيي كاملاً.

- ولكنك دون ريب تساءلت عن السبب.

- طبعاً تساءلت كثيراً. حاولت جاهداً أن أعرف ما الذي دفعك إلى الرحيل فجأة ولم أفهم ما الذي فعلته أو جرى بيننا من خلاف وحين لم أجد السبب، اجتمعت بوالدك وناقشنا الموضوع معاً فأقنعني بأنك ربما ما زلت صغيرة على الزواج وطلب مني أن أتركك وحدك مدة سنة أو ما

شابه لأتيح لك مهلة للمرح واختبار الحياة بنفسك.

صمت غراي قليلاً ثم ثبّت نظره في وجهها وتابع يقول:

- والآن قولي لي، هل اختبرت الحياة؟

طأطأت رأسها ونظرت أرضاً ثم قالت:

- في بعض الأمور!

- أية أمور؟

- تعلمت الطرق التعليمية والتربوية واكتشفت معظم الأطعمة، وتعرفت إلى نيويورك بشكل جيد.

- كفّي عن التلاعب بالكلام! تعرفين ما أقصد بسؤالي!

اقترب منها وهو يتأجج غيظاً ثم أضاف:

- أكان هناك شخص آخر في حياتك؟

ابتسمت ابتسامة جزئية وقالت: «لا».

- هذا ليس مضحكاً.

ثم أمسك بها من كتفيها وهزّها وهو يصرخ:

- لا تسخري مني، تباً لك!

- ما أصعب الانتظار سنتين طويلتين. لماذا لم تأتِ لتبحث عني في نيويورك؟

- تريدين الصراحة؟ حسناً، لم أرَ منك أية إشارة تدفعني إلى القيام بذلك. وأنا رجل لي كبريائي. لم أكن لألاحقك ما دمت لا تعيرينني اهتماماً، ورأيت أنني إن تركتك وشأنك عدت إلى المنزل وكان علي الانتظار ريثما تعودين وعندها أقرر.

- تقرر ماذا؟

هزّها بقوة أكثر وقال:

- أقرر ما إذا كنت أهدر وقتي سُدى بالمحاولة من جديد. حين بدأت النوبات القلبية تصيب والدك قررت أن أتصل بك لتأتي إليه، ولكنه لم يشأ أن تعودي لأجله فقد كان يعتبرها نوبات عابرة، ولو

أحست بالخطر عليه لعارضته وأتيت بك حالاً. ثم صادف أن اختلس دان الأموال وفرّ لاجئاً إليك فوجدت العذر جيداً ولحقت به إلى نيويورك لأراك.

نظرت إليه جوانا من بين أهدابها وقالت:

ـ عذر؟ شعرت بأنك بحاجة إلى عذر للمجيء إلى نيويورك؟

ـ طبعاً! لم أشأ أن تعتقدي أني لحقت بك لأني لا أقوى على العيش بدونك.

اقتربت منه ووضعت ذراعيها حول عنقه ثم قالت:

ـ أنت مغفل حقاً.

نظر إلى وجهها الجميل وقال:

ـ صحيح؟

ـ طبعاً، كيف لي أعرف أنك تحبني حقاً إن بقيت بعيداً عني؟

ـ تلك هي المسألة بالنسبة لي أيضاً. كيف كان لي أن أعرف حقيقة شعورك تجاهي حين هجرتني ورحلت إلى حيث نسيتني كلياً؟

ـ لم أنسك.

ـ لا؟

ـ حاولت، لكني لم أستطع.

ـ عزيزتي، أحبك من كل قلبي. لا أستطيع أن أقول كل ما عندي! كنت أتساءل ما إذا كان شعوري تجاهك ما زال على حاله.. ففترة ستتين ليست بالأمر السهل. ولكن ما إن رأيتك مجدداً على عتبة باب شقتك في نيويورك حتى خالجني شعور بأني أحبك أكثر من ذي قبل.

ضحكت ثم راحت تلامس عنقه بيدها وتقول:

ـ غراي، أنا لا أصدق ما تقول.. فأنت رومانسي رغم إخفائك ذاتك تحت غطاء رجل الأعمال!

ـ أتتزوجينني يا جوانا؟

ـ نعم، فأنت وحدك حبيبي.

ـ سأجعلك أسعد امرأة في العالم.

ـ سنكوّن أسعد أسرة معاً.

ـ نعم، هذا ما قصدته. لكن ثمة أمر يحيّرني. إن استلم دان العمل في لندن فسيضطر والدك للعيش وحيداً.

ـ آه، لقد نسيت مقابلة دان.. كيف كانت النتيجة؟

ـ يبدو أنه لقي إعجابهم وقد عرضوا عليه العمل لديهم وقال بأنه سيرد عليهم نهار الاثنين، فهو لا يزال قلقاً على والدك.

توقف لحظة عن الكلام ثم تابع يقول:

ـ جوانا، ما رأيك لو نعيش مع والدك بعد زواجنا؟

ـ لا يهمني أين نعيش ما دمت معي. كما لا يمكنني أن أترك والدي وحيداً.. أنت على حق. كنت أنوي العودة نهائياً إلى دياري، وقد حجزت على الطائرة المتوجهة غداً إلى مانشستر. وهكذا سأضطر إلى إنهاء بعض الأعمال في وقت مبكر.

ـ تقصدين أني أضعت وقتي هدراً باللحاق بك إلى هنا؟ كنت عائدة إلى المنزل غداً؟

نظرت إليه جوانا وهي تعرف أنه يقصد إغاظتها وإثارة عصبيتها لكنها اكتفت بالقول:

ـ على الأقل، أوضحت غايتك أخيراً. غراي، لم يعد عندك أية أسرار، أليس كذلك؟

ـ سر أو سران.

انحنى فوقها وراح يعانقها وهو يقول:

ـ لكنهما لن يبقيا في طيّ الكتمان وقتاً طويلاً يا حبيبتي، فمن الآن وصاعداً لن نخفي عن بعضنا بعضاً شيئاً.

وفجأة خطر على بالها سؤال غريب:

ـ لكن حبيبي، من أين حصلت على المال لتشتري تلك الحصص كلها؟

ـ ألم أخبرك؟ لقد ورثت تدريجياً أموال عمي الذي لم يترك أية وصية فهو لم يرغب بتركها لي، لكنه نسي أني قريبه الوحيد الذي ما زال حياً يرزق. وهكذا أصبحت الوريث الشرعي الوحيد لكل أملاكه وأمواله. أتعرفين أنه بشكل غير مباشر كان السبب في جمعنا؟ لو عرف ذلك لجنّ جنونه!

ـ ربما سُرَّ لذلك، فلنحسن به الظن قليلاً.

ـ لو أحسنت بي الظن بعض الشيء لما أضعنا كل ذلك الوقت.

ـ آسفة يا حبيبي. حقاً، أنا آسفة.

عانقها بدفء وحنان لم يسبق لهما من مثيل، فمن الآن وصاعداً، لن يكون بينهما أية شكوك أو أسرار أو ادعاءات.. بل الحب والوئام والسعادة فقط.

* * *

www.liilas.com
Aml